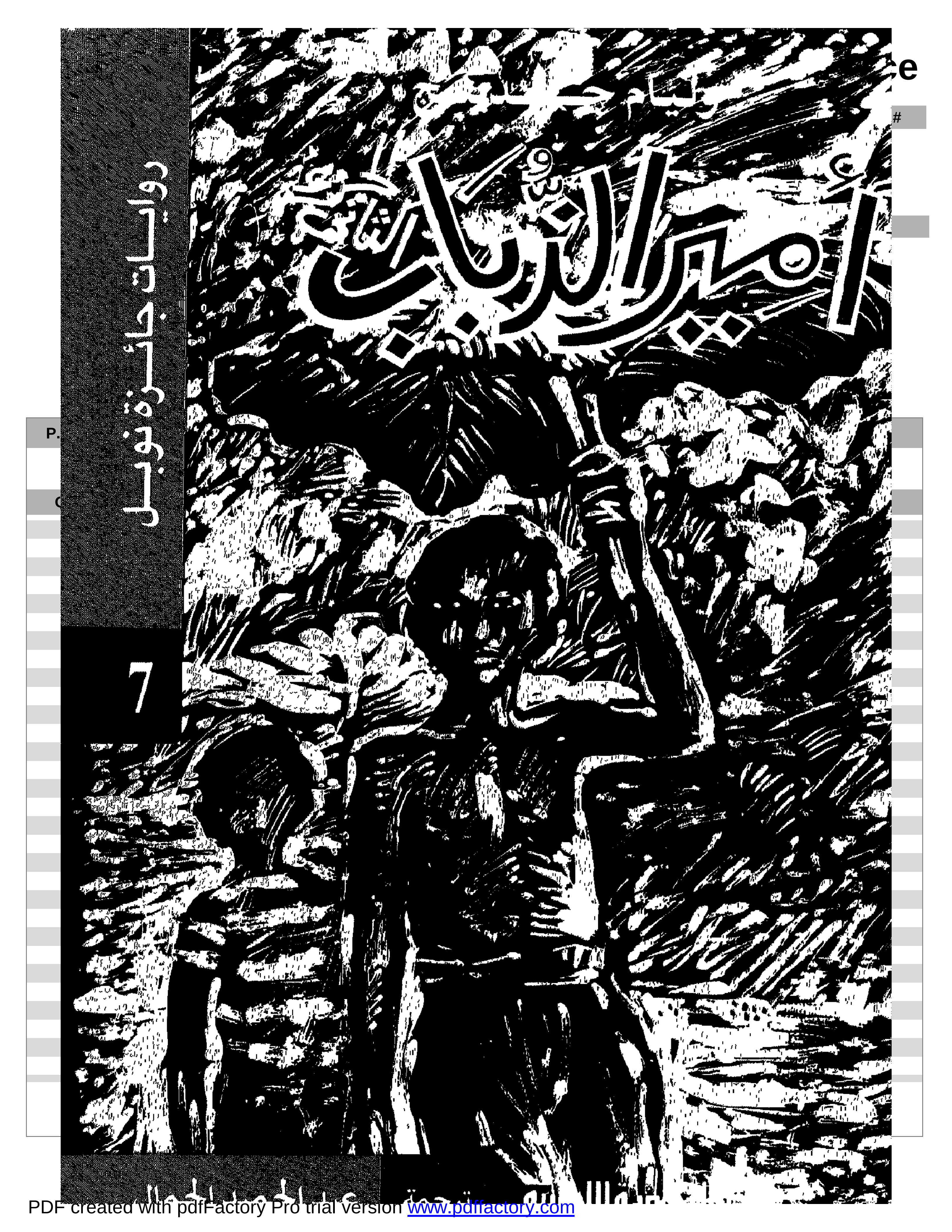

أمير الذباب
روايات جائزة نوبل
7




روايات جيب
7

روايـــات جائـــزة نـــوبـــل

سلسلة تصدرها

الـدار المصرية اللبنـانية

المـديـــر العـــام : **محمد رشـــاد**

رئيس التحـريـــر : **فتحى العشرى**

الإعداد والصياغة : **محمد فتحى**

---

١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٣٣٢٠/ ٩٤

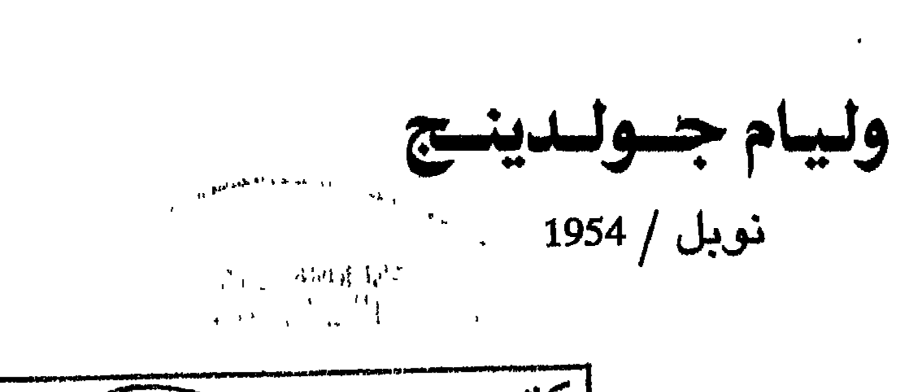
الترقيم الدولى : 4 - 132 - 270 - 977

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـــ ١٩٩٤ م.

الطبعة الثانية : شعبان١٤٢١ هــنوفمبر٢٠٠٠ م

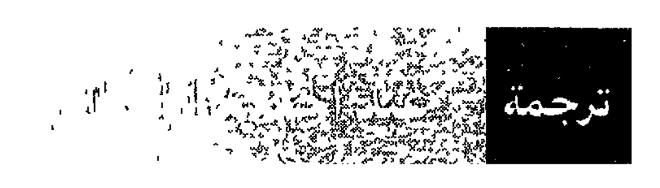


LORD OF THE FLIES



وليام جولدينج

نوبل / 1954





الفصل السابع





الظلال والأشجار الطويلة

ظل طريق الخنازير قريباً من كتل الصخور المختلطة ،

فى غير انتظام ، والملقاة بجوار المياه على الجانب الآخر ، وكان «رالف» مسروراً من السير وراء « جاك » على طول هذا الطريق . وإذا أمكنك أن تحجب عن أذنك صوت هدير الموج البطىء وهو يبتعد عن شاطىء البحر وصوت الفوران الغاضب لدى عودة الأمواج إلى الشاطىء ، وإذا أمكنك أن تنسى كيف أن المخابىء والأجمات الغنية بنبات السرخس مظلمة وغير مطروقة - فإنه عندئذ تكون هناك فرصة لأن تطرد فكرة الوحش من ذهنك .. وتغرق فى الأحلام لبعض الوقت .. وكانت الشمس قد أصبحت عمودية ، مما جعل حرارة ما بعد الظهر تطبق على الجزيرة ، ومَرَّرَ « رالف » رسالة للإمام إلى « جاك » وعندما وصلوا بعد ذلك مباشرة إلى مكان الفاكهة الناضجة .. توقفتَ المجموعة كلها وتناولوا الطعام .

وأدرك « رالف » أثناء جلوسه مدى وطأة الحرارة الشديدة لأول مرة فى ذلك اليوم . وجذب فى اشمئزاز قميصه الرمادى اللون ، وسأل نفسه فى تعجب عما إذا كان سيجازف ويقدم على غسل هذا القميص ، وأثناء جلوس « رالف » تحت وطأة الحرارة التى كانت غير اعتيادية حتى بالنسبة

لهذه الجزيرة راح يضع الخطط لنفسه لكى يتزين ويهندم نفسه . فأحـ
بالرغبة فى .أن يكون لديه مقص ليقص به شعره ، وألقى بكتل شـ
المتشابكة للخلف ، فليقص هذا الشعر القذر بحيث لا يزيد طوله ـ
نصف بوصة . وكان يود أن يأخذ حماماً مع تنظيف شديد بالصابون . . و
بلسانه على أسنانه على سبيل التجربة ، وقرر أنه ينبغى وجود فرشاة للأسـ
أيضاً ، وبعدئذ كانت هناك أظافره .

وقلب « رالف » يده ، وفحص أظافره ، ووجد أنها قد قضمت تماماً
برغم أنه لم يستطع تذكر متى بدأ هذه العادة السخيفة ، ولا متى انده
فيها .

-وبعد ذلك سأرضع فى أصبعى .

ونظر فيما حوله وراح يسترق السمع ، وكان من الواضح أن أحداً
يسمع شيأ ، إذ كان الصيادون جالسين ، وكانوا يأكلون فى نهم هذه الوجـ
غير الكافية ، ويحاولون إقناع أنفسهم بأنهم قد تنالوا كميات كافية من المو
وّمن تلك الفاكهة الأخرى التى لها لون رمادى زيتونى ، ولها شكل هلامى

ومع تذكره بأنه سيكون يوماً ما مهندماً ونظيفاً ومعياراً للنظافة فإنه را
يتفحص الآخرين ، وكانوا قذرين ، ولم تكن قذارتهم مثل القذارة المثـ
التى تصاحب الأولاد الذين سقطوا فى الطين أو تعرضوا للبهدلة الشديدة
يوم مطير ، وبرغم أن أحداً منهم لم يتعرض لوابل من المطر فإن شعره
الطويل للغاية كان على شكل كتل متشابكة هنا وهناك ، ومعقوداً حو
ورقة شجر ناشفة أو غصن ، كما كانت وجوههم نظيفة نسبياً بفعل عملـ
تناول الطعام، وخروج العرق ، وبها نوع من الظلال فى الزاويا التى يصعـ

تجمع الوصول إليها نسبياً ، أما ثيابهم فكانت ممزقة وناشفة من العرق مثل ثيابه تماماً ، وكانوا يرتدونها لا من أجل الزينة أو الزخرفة أو الراحة ، ولكن بسبب التعود على ارتداء الثياب ، وكانت بشرة أجسادهم مكسوة بالقشور بسبب ملوحة مياه البحر .

وأدرك فى شىء من الكآبة أنه بدأ ينظر إلى هذه الأحوال على أساس أنها طبيعية تماماً بحيث لم تعد تثير قلقه ، فتنهد وأبعد عنه الغصن الذى قطف منه ثمار الفاكهة . وبدأ الصيادون يتسللون بعيداً لقضاء الحاجة فى الغابة أو فى الأماكن السفلية عند الصخور ، فالتفت ونظر فى انتباه إلى البحر .

وهنا على الجانب الآخر من الجزيرة كان المنظر مختلفاً تماماً ، فصحائف السراب الساحرة الرقيقة لم تستطع الصمود أمام مياه المحيط الباردة ؛ ولذلك كان الأفق ثابتاً وصارماً ومطوقاً فى زرقة شديدة . وتجول « رالف » هابطاً نحو الصخور . . وهنا بالأماكن السفلية التى تكاد تكون فى نفس مستوى مياه البحر كان باستطاعتك أن تتبع بعينيك المرور المنتظم المتواصل للأمواج فى عرض البحر العميق . وكانت هذه الأمواج عريضة لمسافة أميال ، ولم تكن عارمة كالجبال ، كما أنها لم تكن بمثابة الحواف المرتفعة للمياه الضحلة ، وكانت تتحرك على طول الجزيرة بدون أى اكتراث بالجزيرة ، وكأنها قد بعثت لإنجاز مهمة أخرى ، كانت جانباً من حركة الارتفاع والانخفاض الخطيرة للمحيط بأكمله ، فالبحر كان يتراجع لأسفل محدثاً شلالات صغيرة ومساقط من المياه المتراجعة ، ويغوص متخطياً الصخور ، ويلصق الأعشاب البحرية مثل الشعر اللامع بالأماكن السفلية ، ثم يتوقف للحظات ويستجمع قواه ويرتفع فى زئير ، ويزداد ارتفاعه فى فوران متسلقاً المنحدرات الصخرية الشاطئية ، وأخيراً يرسل ذراعاً من الأمواج المتكسرة

فوق أُخدود ، تنتهى على شكل أصابع من الرذاذ ، وتتساقط على مسافة ياردة أو نحو ذلك منه . وأخذ « رالف » يتابع الموجات موجة وراء موجة ، ويتابع الارتفاع والانخفاض إلى أن تخدر ذهنه وفقد الإحساس بسبب وجود تلك المسافات اللانهائية الممتدة عبر البحر .

وبعدئذ فرضت هذه المياه التى تكاد تكون لانهائية نفسها على انتباهه تدريجياً ، وكان هذا الحجم الهائل من المياه هو المفرق وهو الحاجز بينهم وبين وطنهم . وعلى الجانب الآخر من الجزيرة المحاط بالسراب فى وقت الظهيرة ، والمحمى بدرع « اللاجون » الهادىء قد يحلم المرء باحتمال إنقاذ حياته ، ولكن هنا عندما يواجه المرء الزاوية المنفرجة المتوحشة للمحيط وأميال الفرقة فإنه يشعر أنه مشدود ومربوط فى الجزيرة ، وأنه لا حول له ولا قوة . وأنه مدان ومحكوم عليه ، وأنه . .

وكان « سيمون » يتحدث ويكاد يلقى بالكلمات فى داخل أذنه ، ووجد « رالف » نفسه ممسكاً بالصخر بكلتا يديه فى شدة ، مما جعله يشعر بالألم ، ووجد ظهره مقوساً ، وعضلات رقبته متصلبة ، وفمه مفتوحاً فى توتر :

- ستعود إلى المكان الذى جئت منه .

وكان « سيمون » يومىء برأسه أثناء تكلمه ، وكان راكعاً على ركبة واحدة ، وكاد يطل لأسفل من فوق صخرة عالية ، حيث كان ممسكاً بتلك الصخرة بكلتا يديه ، أما ساقه الأخرى فكانت متدلية لأسفل حتى مستوى «رالف» .

وشعر « رالف » بالحيرة والارتباك ، وراح يبحث فى وجه « سيمون » عن مفتاح هذا اللغز .

- ولكن المسافة هائلة للغاية ، أعنى . .

فأومأ « سيمون » برأسه :

- ومع ذلك سوف تعود وتصبح على ما يرام ، وهذا هو اعتقادى على كل حال .

وكان بعض التوتر قد زال عن جسد « رالف » ، فألقى نظرة سريعة على البحر ، ثم ابتسم فى مرارة فى وجه « سيمون » :

- هل لديك سفينة فى جيبك ؟

فابستم « سيمون » وهز رأسه :

- إذن فكيف عرفت ذلك ؟

وعندما التزم « سيمون » بالصمت قال « رالف » فى اقتضاب وجفاء :

- أنت إنسان معتوه .

فراح « سيمون » يهز رأسه فى عنف إلى أنْ تطاير شعره الأسود للأمام وللخلف عبر وجهه .

- لا ، أنا لست معتوهاً ، كل ما هنالك أننى أعتقد بأنك سوف تعود وتكون على ما يرام .

ومرت لحظات لم يتم فيها أى حوار بينهما ، وبعدئذ ابتسم كل منهما للآخر فجأة .

ونادى روجر من المخابىء :

- تعالوا وشاهدوا !

وكانت الأرض مقلوبة ومتناثرة بالقرب من جدول الخنازير . .

وكان هناك روث يتصاعد البخار منه . . وانحنى « جاك » لأسفل متفحصاً الروث كما لو كان معجباً به .

– يا « رالف » – نحن بحاجة إلى اللحوم حتى ولو اضطررنا لصيد الشيء الآخر .

– إذا كنت تقصد أننا سنسلك فى الاتجاه الصحيح فإننا سنصطاد .

وانطلقوا مرة أخرى . وتقوس ظهر الصيادين بعض الشيء بسبب الخوف من الوحش الذى أشير إليه بطريقة عابرة، فى حين انطلق « جاك » فى المقدمة باحثاً عن فريسة . . وكانوا يسيرون ببطء أكثر مما كان يتوقع «رالف » ، ومع ذلك فقد كان مسروراً على نحو ما وهو يتسكع محتضناً رمحه، وواجه « جاك » بعض الطوارىء التى تتعلق بحرفته البارعة ، فتوقف الموكب وراءه ، فاستند « رالف » على شجرة ، وعندئذ تدفقت على ذهنه أحلام اليقظة على الفور ، وقال لنفسه إن « جاك » هو المسئول عن أعمال الصيد ، وبذلك سيكون هناك بعض الوقت للوصول إلى الجبل .

لقد كان ذات يوم يسير وراء والده من « تشاتهام » إلى « ذفونبورت » حيث كانوا يعيشون فى كوخ يقع على حافة المستنقعات . ومن بين المساكن المتتابعة التى عرفها « رالف » كان هذا المسكن يقف ظاهراً فى وضوح متميز؛ لأنه بعد ذلك المسكن كان يُرْسَل للذهاب بعيداً إلى المدرسة . . وكانت أمه لا تزال تعيش معهم ، وكان والده يعود إلى المنزل فى كل يوم . . وجاءت جياد برية متوحشة إلى السور الحجرى عند الجزء السفلى من الحديقة ، وكان الثلج قد تساقط من السماء . وخلف الكوخ مباشرة كانت هناك مَكِينة من نوع ما ، بحيث يستطيع المرء أن يستلقى هنالك ، ويرقب الرقائق وهى تمر على شكل دوامة ، ويمكنه مشاهدة البقعة المبللة التى ذابت فيها كل واحدة

من تلك الرقائق ، وبعدئذ يمكنه أن يميز أولى الرقائق التى سقطت بدون أن تذوب ، وأن يرقب الأرض كلها وقد تحولت إلى اللون الأبيض . وكان باستطاعة المرء أن يحتمى بالدخول إلى المنزل إذا شعر بالبرد ، وعندئذ يمكنه أن ينظر من خلال النافذة خلف ذلك المقبض النحاسى البراق ، وخلف اللوح المعدنى الذى يوجد به إلى الرجال الضئيلى الحجم ذوى اللون الأزرق .

وعندما كنت تذهب للنوم فى السرير كانت توجد هناك « سلطانية » مملوءة برقائق صغيرة من الذرة ، مدهونة بالسكر والكريمة ، أما الكتب فكانت توجد على الرف بجوار السرير مستندة بعضها إلى البعض مع وجود كتابين أو ثلاثة كتب فى وضع منبسط فوق القمة دائماً ؛ لأنه لم يكن يهتم بإعادة الكتب إلى مكانها الصحيح عقب الانتهاء من قراءتها . وكانت الكتب بها صفحات مطوية الزوايا وبها خدوش ، ومن بين هذه الكتب كان يوجد كتاب له غلاف لامع عن « توبى » و « موبى » وهو كتاب لم يقرأه على الإطلاق ؛ لأنه يدور حول فتاتين ، وكان هناك كتاب عن الساحر مثير للرعب ، بحيث يضطر المرء أن يتخطى صفحة ٢٧ التى توجد بها صورة مخيفة عن العنكبوت . كما كان هناك كتاب عن أناس قاموا بالحفر والتنقيب عن أشياء : أشياء مصرية . وأيضاً كتاب « قطارات الأطفال » وكتاب «سفن الأطفال» وتمثلت أمامه تلك الكتب بوضوح ، حيث كان بمقدوره الوثوب لأعلى ولمسها بيديه ، كما كان بمقدوره الإحساس بالثقل والانزلاق الذى يصاحب كتاب «الفيلة البائدة » للأطفال لدى إنزاله من مكانه . . لقد كان كل شىء على ما يرام . فكل شىء كان يتسم بروح الفكاهة والصداقة .

وتحطمت الشجيرات أمامه ، إذ ألقى الأولاد بأنفسهم فى وحشية بعيداً

عن ممر الخنازير ، وتدافعوا بالمناكب بين النباتات المتسلقة صارخين فى عنف. ولاحظ « رالف » أن « جاك » قد وُكِزَ بالمرافق ودُفِع على جانبٍ وسقط على الأرض ، وبعدئذ ظهر هناك مخلوق يقفز على طول ممر الخنازير فى اتجاهه وكانت أنيابة لامعة ، وكان شخيره ونخيره مثيرين للرعب ، واكتشف « رالف » أنه قادر على قياس المسافة فى شىء من الجرأة ، وصوب رمحه ، وبعد أن أصبح الخنزير على مسافة خمس ياردات فقط قذف الرمح الخشبى ، وشاهد الرمح وهو يضرب فنطيسة الخنزير المائلة ويتعلق بها للحظات ، فتغير صوت الخنزير وأصبح على هيئة صراخ حاد رفيع ، وانحرف على جانب نحو المخبأ ، وبعد أن امتلأ جدول الخنازير بصيحات الأولاد مرة أخرى رجع « جاك » مهرولاً ، وراح يبحث فى فضول بين الشجيرات :

– فى أرجاء هذا المكان .

– ولكنه قد يخدعنا !

ـ فى أرجاء هذا المكان كما قلت لك .

وكان الخنزير البرى يتخبط ويتعثر مبتعداً عنهم ، وعثروا على جدول آخر للخنازير مواز للجدول الأول ، فانطلق « جاك » بأقصى سرعة . وكان «رالف» مملوءاً بالرعب والخوف من الشرور المرتقبة ، كما كان يشعر بالفخر والغرور :

– لقد أصبته . . لقد طعنه الرمح .

وبعدئذ وصلوا – بدون أن يتوقعوا ذلك – إلى مكان مكشوف بالقرب من البحر ، وراح « جاك » يبحث عنه فوق الصخور العارية ، وبدا عليه القلق .

- لقد أفلت من أيدينا ، فقال « رالف » مرة أخرى :

- لقد ضربته وأصابه الرمح فى جسده . .

وأحس أنه بحاجة إلى أشخاص يشهدون على صدق قوله :

- هل شاهدتنى وأنا أصيب الخنزير برمحى ؟

فأومأ « موريس » موافقاً :

- نعم . لقد شاهدتك . فقد ضربته بعنف على خرطومه ! فاستطرد «رالف » فى إثارة :

- لقد ضربته ضربة رائعة وطعنته بالحربة . لقد أصبته بجراح ! وانتعشت نفسه نتيجة احترامهم الجديد له ، وأحس أن الصيد عمل رائع برغم كل شىء .

- لقد ضربته ضربة سديدة صحيحة ، وفى اعتقادى أن ذلك الخنزير هو الوحش !

فرجع « جاك » :

- لم يكن ذلك هو الوحش . . فهو خنزير برى .

- لقد ضربته .

- ولماذا لم تمسك به ؟ لقد حاولت .

فارتفع صوت « رالف » :

- ولكنه خنزير برى ذكر !

فارتفعت الدماء فى وجه « جاك » فجأة :

– لقد قلت إنه قد يخدعنا ، فماذا كنت تهدف من وراء قولك هذا ؟ ولماذا لم تنتظر ؟

ومد ذراعه .

– انظروا .

وأدار ساعده الأيسر نحوهم جميعاً لكى يشاهدوا .

وكان هناك تمزق على الجانب الخارجى من ساعده ، ولم تكن مساحة التمزق كبيرة ، ولكنها كانت ملطخة بالدماء .

– لقد فعل هذا بأنيابه ، إذ لم أتمكن من انتزاع الرمح فى الوقت المناسب ، فتركز الانتباه على « جاك » .

وقال « سيمون » :

– ذلك جرح عميق ، وينبغى أن تمتصه بفمك .

فقام « جاك » بامتصاص الجرح .

فقال « رالف » فى استياء :

– لقد ضربته . ضربته برمحى . وأصبته بجروح . .

وحاول جذب انتباههم .

– لقد شاهدته وهو يتقدم على الممر ، فسددت رمحى على هذا النحو .

فزمجر « روبرت » فى وجهه . ودخل « رالف » فى هذه اللعبة ، فانفجر الجميع ضاحكين ، وسرعان ما راحوا جميعاً يطعنون ويلكمون « روبرت » الذى كان يقلد حركات القرد واندفاعاته .

وصاح « جاك » :

– اعملوا حلقة !

وتحركت الحلقة مشددة الخناق . وصرخ « روبرت » صراخاً حاداً رفيعاً مقلداً الرعب الذى ينتاب الخنزير ، وبعدئذ صرخ فى آلام حقيقية .

– أوه ! توقفوا عن هذا ، فأنتم تسببون لى آلاماً شديدة .

وسقط الجزء الغليظ من الحربة على ظهره ، فى حين كان يتعثر ويتخبط بينهم .

– أمسكوا به !

وأمسكوا بذراعيه ورجليه ، وانساق « رالف » وراء إثارة فجائية شديدة ، فنزع رمح « إريك » ووخز « روبرت » به .

– اقتلوه ! اقتلوه !

وعلى الفور تحول « روبرت » إلى الصراخ الجنونى والمقاومة بكل ما أوتى من قوة جنونية ، فأمسكه « جاك » من شعره وراح يلوح مهدداً بسكينته ووراءه كان روجر يكافح ، لكى يتمكن من الاقتراب قليلاً ليشهد المنظر ، وتصاعدت الأنشودة متخذة طابع الطقوس الشعائرية ، مثلما يحدث فى اللحظات الأخيرة من الرقص أو الصيد :

– اقتل الخنزير . . واقطع رقبته ! اقتل الخنزير . وجه له الضربات الساحقة !

وكان « رالف » يكافح ؛ لكى يتمكن من الاقتراب ومشاهدة ما يحدث ، ولكى يملأ يديه بذلك اللحم البنى الحساس قبل أن يتعرض للعطب ، وكانت الرغبة فى اعتصاره وطعنه عارمة للغاية .

وهبط ذراع « جاك » وماجت الحلقة اللاهثة بالهتاف والبهجة ، وقلدت

أصوات الخنازير عند ما تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وبعدئذ استلقوا فى هدوء لاهثين ، وراحوا يصغون إلى بكاء « روبرت » الملئ بالرعب ، ومسح وجهه بذراعه القذرة ، وبذل جهداً لكى يستعيد وضعه ويصلح من شأنه .

– أوه ، ردفى !

وراح يحك ردفه فى اكتئاب وحزن . وتمايل « جاك » :

– تلك كانت لعبة حسنة .

فقال « رالف » فى قلق :

– مجرد لعبة . لقد تعرضت ذات مرة لجروح بالغة أثناء مزاح شبيه بهذا .

وقال « موريس » :

– ينبغى أن تكون لدينا طبلة حتى نتمكن من الأداء بطريقة سليمة .

فنظر إليه « رالف » :

– وعلى أى نحو تكون الطريقة السليمة ؟

– لا أدرى ، فأنا أعتقد أنك تريد نيراناً وطبلة ، والربط ما بين الطبلة والوقت .

وقال « روجر » :

– أنت تريد خنزيراً ، مثلما يحدث فى الصيد الحقيقى .

فقال « جاك » :

– أو يتظاهر شخص ما بأنه خنزير ، يمكنك أن تجعل أى شخص يبدو وكأنه خنزير ، وبعدئذ يمكنك أن تقوم بتمثيل الدور – تتظاهر بأنك تطرحنى أرضاً ، وتقلد كل هذه الحركات .

وقال « روبرت » :

– أنت تريد خنزيراً حقيقيا ؛ لأنك كنت على وشك أن تقتلنى .

فقال « جاك » :

– نجعل ولداً صغيراً يقوم بدور الخنزير ، فانفجر الجميع فى الضحك .

وجلس « رالف » :

– حسناً ، لن نجد ما نبحث عنه فى هذه الحال .

فوقفوا الواحد تلو الآخر وهم يشدون على أجسامهم ثيابهم البالية .

ونظر « رالف » إلى « جاك » :

– فلنذهب الآن إلى الجبل .

فقال « موريس » :

– ألا ينبغى لنا أن نعود إلى « بيجى » قبل حلول الظلام ؟

وأومأ « التوءمان » برأسيهما كأنهما ولد واحد :

– نعم . ينبغى العودة إلى « بيجى » ونؤجل الصعود إلى الجبل إلى صباح الغد . .

وأطل « رالف » وشاهد البحر :

– ينبغى لنا إشعال النيران مرة أخرى .

فقال « جاك » :

– لا توجد نظارة « بيجى » معك ، وبذلك لن تتمكن من إشعال النيران .

– وعندئذ سنتبين ما إذا كان الجبل خالياً من الوحوش .

وتحدث « موريس » فى شىء من التردد ، حيث كان لا يريد أن يبدو جباناً رعديداً :

– ولنفرض أن الوحش موجود هنالك بالفعل ؟

فلوح « جاك » برمحه مهدداً :

– سنقوم بقتله .

وبدت الشمس باردة بعض الشىء ، وضرب برمحه :

– لأى شىء ننتظر الآن ؟

فقال « رالف » :

– أعتقد أننا إذا سرنا بجوار البحر فى هذا الاتجاه فسنصبح أسفل الجزء المحترق ، وعندئذ يمكننا أن نتسلق الجبل .

ومرة أخرى قادهم « جاك » بجوار أصوات الامتصاص والجيشان والتنهدات الصادرة عن البحر المبهر للأبصار .

وبدأ « رالف » يستسلم لأحلام اليقظة مرة أخرى ، وترك أقدامه الماهرة تتعامل مع الصعاب الموجودة على الممر ، ولكن هنا كانت أقدامه يبدو عليها أنها أقل مهارة من ذى قبل ؛ لأنهم فى معظم الطريق اضطروا للنزول لأسفل الصخور العارية بجوار الماء ، واضطروا للتقدم تدريجياً بين ذلك وبين الزخارف الوفيرة الخصيبة المظلمة للغاية . وكانت هناك منحدرات صخرية صغيرة يمكن تسلقها ، وبعضها يصلح للاستخدام كممرات ؛ لأنها بمثابة طرق ملتوية طويلة للغاية يستخدم فيها الإنسان يديه بالإضافة

إلى رجليه . وكان باستطاعتهم التسلق بصعوبة هنا وهناك فوق الصخور المبللة بمياه الموج ، والقفز عبر البرك الصافية التى تخلفت عن حركة المد والجزر . ووصلوا إلى أخدود يشق صدر الشاطىء الضيق كأنه نوع من أنواع الدفاع . وبدا هذا وكأنه لا قاع له فراحوا يحملقون فى رعب ورهبة فى الفتحة الضيقة ، حيث كانت المياه تقرقر وتتدفق فى تيار متقطع ، وبعدئذ عادت الأمواج ، ففار الأخدود فى هياج ، وتناثر الرذاذ لأعلى نحو النباتات المتسلقة، مما أدى إلى ابتلال الأولاد بالماء ، فأخذوا يتصارحون فى صراخ . وحاولوا السير فى الغابة ، غير أنها كانت كثيفة ومتشابكة مثل عش الطيور ، ولجئوا فى نهاية الأمر إلى القفز الواحد تلو الآخر ، مع الانتظار لحين هبوط المياه ، وبرغم هذا الحرص فقد تعرض بعضهم للبلل مرة أخرى . وبعد ذلك بدأ تعذر المرور فوق الصخور ، وأصبح الأمر مستحيلاً ، مما جعلهم يجلسون لبعض الوقت ويتركون ثيابهم البالية المبللة لكى تجف تحت أشعة الشمس ، وراحوا يرقبون الخطوط الخارجية للموجات التى كانت تتحرك فى بطء شديد إلى ما وراء الجزيرة . وعثروا على فاكهة فى مكان تتردد عليه الطيور صغيرة مشرقة ولامعة ، وكانت تلك الطيور تحوم وتتسكع مثل الحشرات .
بعد ئذ قال « رالف » : إنهم يتقدمون فى بطء شديد ، ثم قام بتسلق شجرة ، وباعد ما بين تعريشة الأوراق وأدرك أن الرأس المربع للجبل ما زال بعيداً للغاية على مايبدو ، وبعد ذلك أسرعوا الخُطَا عبر الصخور ، وجُرِحت ركبة « روبرت » جرحاً بالغاً ، فاضطروا للاعتراف بأنه ينبغى لهم السير فى بطء شديد فوق هذا الممر إذا أرادوا لأنفسهم السلامة . ولذلك بدءوا يشقون طريقهم بعد ذلك فى حرص شديد ، كما لو كانوا يتسلقون جبلاً خطيراً ، إلى أن أصبحت الصخور بمثابة منحدر صخرى شاهق شديد الوعورة ، حيث كانت تطل على البحر ، مع وجود أدغال لا تطاق وتنحدر عمودياً على البحر .

ونظر « رالف » إلى الشمس نظرة فاحصة انتقادية :

– فى وقت مبكر من فترة المساء ، عقب وقت تناول الشاى على أية حال . .

وقال « جاك » وهو مطأطىء الرأس :

– إننى لا أذكر هذا المنحدر الصخرى الخطير ، ولابد أننى نسيت أن أتفقد هذا الجزء من الساحل .

فأومأ « رالف » برأسه :

– دعنى أفكر .

وفى تلك الآونة لم يكن لدى « رالف » خجل فيما يتعلق بالتفكير العام ، حيث كان يتعامل مع القرارات فى ذلك اليوم ، كما لو كان يلعب «الشطرنج» ولكن المشكلة الوحيدة هى أنه لم يكن فى يوم ما لاعبَ «شطرنج» ممتاز ، لقد كان يفكر فى الأطفال الصغار وفى « بيجى » ، وتخيل « بيجى » موجودًا إلى جواره فى وضوح شديد وقد تكوم فى كوخ خالٍ من الأصوات تماماً ، فيما عدا صوت الكابوس :

– لا يمكننا أن نترك الأطفال الصغار وحدهم مع « بيجى » . لا يمكن تركهم هكذا طوال الليل .

ولم يتكلم الأولاد ، ولكنهم وقفوا حوله يرقبونه :

– إذا عدنا الآن فسيستغرق ذلك بضع ساعات .

وسلك « جاك » صوته وتحدث إليهم بصوت غريب :

– يجب ألا ندع أى شىء يحدث لـ « بيجى » . أليس كذلك ؟

وراح « رالف » يطرق على أسنانه بالجزء المدبب القذر من رمح «إيريك»، وحملق فيما حوله :

- ينبغى أن يذهب شخص ما عبر الجزيرة ويقول لـ « بيجى » إننا سنعود إليه عقب حلول الظلام .

وتحدث « بيل » فى غير تصديق :

- يذهب شخص ما مخترقاً الغابة وحده . . والآن ؟

- لا يمكننا الاستغناء عن أكثر من شخص واحد .

فشق « سيمون » طريقه نحو مرفق « رالف » :

- سأذهب أنا إذا أردتم ، فأنا لا يهمنى الذهاب بمفردى . وهذا الكلام أقوله بكل صدق وأمانه .

وقبل أن يجد « رالف » الوقت لكى يرد ابتسم « سيمون » على وجه السرعه، ثم استدار وشق طريقه إلى داخل الغابة .

ونظر « رالف » وراءه نحو « جاك » وراح يسدد له النظرات الحانقة لأول مرة .

- يا « جاك » - لقد قطعت المسافة كلها حتى صخرة القلعة فى تلك المرة .

فحملق « جاك » مشدوها :

- نعم .

- ووصلت إلى جزء من هذا الشاطىء - أسفل الجبل - إلى ما وراء هذا المكان .

– نعم .

– وبعدئذ ؟

–وجدت جدولاً للخنازير ، وكان هذا الجدول يمتد لمسافة أميال .

– ومعنى هذا أن جدول الخنازير لابد أن يكون موجوداً هنالك فى مكان ما ؟!

وأومأ « رالف » برأسه ، وأشار إلى الغابة :

ووافق كل شخص فى وقار :

– حسناً إذن ، سنشق لنا طريقاً إلى أن نعثر على جدول الخنازير ، وتقدم خطوة ثم توقف :

– انتظروا قليلاً ، إلى أين يصل جدول الخنازير .

فقال « جاك » : لقد سبق أن قلت لك إنه يصل إلى الجبل .

وكان صوته مملوءاً بالازدراء وهو يستطرد قائلاً :

– ألا تريد الذهاب إلى الجبل ؟

فتنهد « رالف » وهو يحس بتصاعد المشاعر العدائية ، وكان يدرك أن «جاك » يشعر نحوه بالخصومة والعداء منذ انتهاء وضعه كرئيس وقائد .

– لقد كنت أفكر فى مسألة الضوء ؛ لأننا سنتعثر فى الظلام .

– لقد كنا بصدد البحث عن الوحش . .

– لن يكون هناك ضوء كافٍ .

فقال « جاك » فى حدة :

– لا يهمنى الذهاب ، سأذهب عندما نصل إلى هناك ، أتفضل العودة إلى الأكواخ وإخبار « بيجى » ؟

وجاء الدور على « رالف » لأن يحمر وجهه غضباً ، ولكنه تكلم فى يأس وقنوط انطلاقاً من الفهم الجديد الذى كان « بيجى » قد زوده به .

– لماذا تكرهنى ؟

وتحرك الأولاد فى قلق كما لو كان شىء ما غير لطيف قد قيل . وطال الصمت ، وكان « رالف » هو أول من انصرف مبتعداً ، وكان لا يزال يشعر بالغضب – والإساءة إلى مشاعره :

– هيا بنا .

وقاد الأولاد إلى الطريق ، وانطلق خُطاً عادية بين الكتل المتشابكة ، واهتم « جاك » برعاية مؤخرة « الطابور » ، وكان يشعر بأنه معزول من منصبه ، كما كان يفكر طويلا فى اكتئاب .

وكان طريق الخنازير بمثابة نفق مظلم ؛ لأن الشمس كانت تنزلق بسرعة نحو حافة العالم ، وما أكثر الظلال فى الغابة ، وكان الطريق عريضاً ومطروقاً ، فراحوا يجرون عليه فى هرولة سريعة ، وبعدئذ انتهى سقف الأوراق ؛ فتوقفوا عن الجرى وأخذوا يلهثون وينظرون إلى النجوم القليلة التى تتغامز حول قمة الجبل .

– هأنتم أولاء قد وصلتم .

وحملق الأولاد بعضهم إلى البعض فى نوع من الشك . . واتخذ « رالف » القرار :

- سنذهب مباشرة عبر الرصيف ونتسلق غداً .

فوافقوا فى تمتمة ، ولكن « جاك » كان واقفاً عند كتفه :

- إذا كنت خائفاً بالطبع . .

فانقلب عليه « رالف » مهاجماً . .

- ومن الذى ذهب أولا إلى صخرة القلعة ؟

- وأنا ذهبت أيضاً . وكان ذلك تحت ضوء النهار .

- حسناً . من الذى يرغب فى تسلق الجبل الآن ؟

وكان الصمت هو الإجابة الوحيدة .

- « سام » و « إيرك » ؟ ما رأيكما ؟

- ينبغى لنا الذهاب وإخبار « بيجى » .

- نعم . قولا لبيجى إن

- ولكن « سيمون » ذهب !

- ينبغى لنا أن نقول لـ « بيجى » . . فى حالة .

- « روبرت » ؟ « بيل » ؟

وكانوا آنئذ يشقون طريقهم عائدين إلى الرصيف .

ولم يكن بالطبع السبب فى ذلك هو شعورهم بالخوف ، وإنما السبب هو شعورهم بالإرهاق الشديد .

والتفت « رالف » وراءه نحو « جاك » قائلاً :

- أترى ؟

سأصعد الجبل .

وخرجت الكلمات من « جاك » فى وحشية وقسوة كما لو كانت سباباً ولعنات ، ونظر إلى « رالف » وقد توتر جسده النحيل ، وأمسك برمحه كما لو كان يهدده .

- سأصعد إلى الجبل للبحث عن الوحش الآن .

وبعدئذ جاءت اللدغة الخطيرة والكلمة المرة الطارئة :

- هل ستأتى معى ؟

وما إنْ صدرت تلك الكلمة حتى نسى الأولاد الآخرون حثهم على الذهاب ، واهتموا بهذا الصدام الجديد بين الشبحين فى الظلام . وكانت تلك الكلمة رائعة للغاية ، ومرة للغاية ، ومروعة للغاية ، بحيث لا يمكن تكرارها . . ونقلت هذه الكلمة « رالف » إلى حالة من التوتر والضيق بعد أن كانت أعصابه تلتمس الراحة والاستجمام والعودة إلى الكوخ ومياه «اللاجون» الهادئة الحبيبة .

- ليس لدى مانع من الذهاب معك .

وسمع فى دهشة صوته يخرج بارداً ومتقطعاً ، حتى إن المرارة التى اكتنفت سخرية « جاك » أصبحت واهنة وضعيفة . .

- هذا إذا كنت توافق على مجيىء معك بالطبع .

- أوه ! أنا أوافق تماماً .

واتخذ « جاك » خطوة .

- حسناً إذن .

وبدأ الاثنان يصعدان الجبل جنباً إلى جنب ، وراح الأولاد الصامتون يرقبونهما .

وتوقف « رالف » :

– إننا غبيان . . ولماذ يذهب اثنان فقط ؟ إذا وجدنا أى شيء فلن يكفى وجود اثنين منا فقط .

وترامى إلى سمعهما صوت أطفال يهرولون بعيداً ، ولكنهما دُهِشَا عندما شاهدا شبحاً معتماً أمام مياه المحيط .

– روجر ؟!

– نعم .

– إذن لقد أصبحنا ثلاثة أشخاص .

وانطلقوا مرة أخرى لتسلق المنحدر الجبلى ، وبدا الظلام وكأنه يتدفق حولهم مثل الفيضان ، وبدأ « جاك » الذى كان ملتزماً بالصمت يشرق ويختنق ويكح ، وهبت ريح عاصفة جعلهم – الثلاثة – يغمغمون ويدمدمون ، وامتلأت عينا « رالف » بالدموع الكثيرة مما حجب عنه الرؤية :

– الرماد . . نحن الآن على حافة الرقعة المحترقة .

وكانت خطواتهم والنسيم الذى يهب من وقت لآخر تثير ذرات التراب المؤلمة ، وما إن توقفوا عن المشيء مرة أخرى حتى وجد « رالف » الوقت الكافى لأن يتذكر – وهو غارق فى نوبات من الكحة – كيف أنهم اتسموا بالغباء ، فإذا لم يكن هناك وحش – ومن المؤكد أنه لا يوجد وحش –

فسيكون الموقف على ما يرام ، ولكن إذا كان هناك شيء ما منتظراً فوق قمة الجبل فما الفائدة التى تُرْجَى من ورائهم هم الثلاثة ؟ خاصة أنهم لا يحملون معهم سوى العصى ، بالإضافة إلى أن الظلام سيعوقهم .

- لقد كنا أغبياء .

ومن الظلام انبثقت الإجابة .

- ليل عاصف بالرياح !

وهز « رالف » رأسه فى سخط وغضب ، كل هذا كان بسبب الغلطة التى وقع فيها « جاك » .

وبالطبع أنا مسئول عن هذا الوقت . . ولكننا مازلنا غارقين فى الغباء . وقال الصوت فى تهكم وسخرية :

- إذا كنتما لا تريدان الاستمرار فى الصعود . . فسأصعد أنا بمفردى . .

وسمع « رالف » الأسلوب الساخر وشعر بالكراهية نحو « جاك » ، كما شعر بالضيق والسخط بسبب لسع الرماد فى عينيه والإرهاق والخوف .

- اذهب بمفردك ، سوف ننتظر هنا .

وسادت لحظات من الصمت .

- لماذا لا تريد الذهاب ؟ أتشعر بالخوف ؟

وفصلت بقعة فى الظلام نفسها - وكانت تلك البقعة هى « جاك » ، وبدأت فى الابتعاد فى غياهب الظلام .

- وهو كذلك . إلى اللقاء .

واختفت البقعة ، وحلت بقعة أخرى مكانها .

وأدرك « رالف » أن ركبته تلمس شيئاً صلباً ، فهز جذعاً متفحماً
حواف حادة ، وأحس بالجمرات المطفأة التى كانت من قبل لحاء تضـ
على ظهر ركبته ، فأدرك أن « روجر » قد جلس ، فتحسس بيديه وهـ
بنفسه إلى جوار « روجر » فى حين اهتز الجذع بين الرماد غير المرئى ،
يتكلم « روجر » حيث كان يميل بطبيعته إلى التحفظ والصمت ، ولم يـ
عن رأيه فيما يتعلق بالوحش ، ولم يخبر « رالف » عن السبب الذى جـ
يختار المجىء والاشتراك فى هذه المهام الجنونية ؛ إذ اكتفى بالجلوس بـ
بساطة ، وراح يهز الجذع فى رفق ، ولاحظ « رالف » وجود أصوات طـ
سريعة مثيرة للضيق . ثم أدرك أن « روجر » كان يطرق بعصاه الخشبية ـ
شىء ما .

وهكذا جلسا بين الاهتزاز والطرق ، وكان « روجر » منغلقاً وصامتاً
وكان « رالف » يتفجر غيظاً ، وحولهم كانت السماء المطبقة عليهما مثـ
بالنجوم ، باستثناء الساحة التى يشغلها الجبل ، حيث ثقبت حفرة ـ
السواد .

وكان هناك صوت يسعى كالحية فوقها . . صوت شخص ما يسـ
بخطوات عملاقة وخطيرة فوق الصخر أو الرماد ، ثم عثر « جاك » عليهـ
وكان يرتعد ، ويتكلم بصوت أجش يشبه صوت الضفدعة ، فعرفاه ـ
صوته .

- لقد شاهدت شيئاً فوق قمة الجبل . وسمعاه وهو يتخبط فى ارتبا
فوق الجذع ، مما جعل الجذع يهتز فى عنف ، واستلقى صامتاً للحظات ـ
غمغم قائلاً :

– راقبا الموقف تماماً ؛ إذ يحتمل أن يكون قادماً ورائى .

ودمدم قدر من الرمال حولهما ، فجلس « جاك » معتدلاً :

– لقد شاهدت شيئاً منتفخاً فوق الجبل .

فقال « رالف » بصوت مرتعش :

– ربما تخيلت ذلك فقط . . لأنه لا يوجد شىء ما ينتفخ . . ولا أىّ نوع من أنواع المخلوقات ينتفخ .

وتحدث « روجر » فقفزا فى ذعر ؛ لأنهما كانا قد نسيا أنه موجود معهما .

– الضفدعة .

وضحك « جاك » مقهقهاً ، وسرت رجفة فى كيانه :

– ضفدعة ما ؟ لقد كان هناك صوت أيضاً . . صوت يشبه صوت الغطس فى الماء ، وبعدئذ انتفخ ذلك الشىء .

وأصيب « رالف » نفسه بالدهشة ، ولم يكن السبب فى دهشته هو نوعية صوته الذى كان هادئاً ، وإنما كان السبب هو التظاهر بالشجاعة .

– سنذهب ونلقى نظرة .

ولأول مرة منذ أن تعرف « رالف » على « جاك » يشعر « رالف » أن «جاك» بدأ يميل إلى التأنى والتردد . .

– الآن ؟

فتحدث صوته نيابة عنه :

– بالطبع .

ونزل عن جذع الشجرة ، وسار فى الطريق عبر الجمرات المنطفئة تحت جنح الظلام ، وتبعه الآخران .

ونظراً لأن صوته الفيزيقى كان صامتاً ، فإن الصوت الداخلى للعقل والأصوات الأخرى أيضاً بدأت تطفو على السطح وتفرض نفسها . . كان «بيجى » يسخر منه ويقول له : أنت طفل . . وقال له صوت آخر إنه ينبغى له ألا يكون غبياً وسخيفاً . وأعطى الظلام والمغامرة المتهورة فى الليل نوعاً من الوهم الكاذب الذين يتميز به كرسى طبيب الأسنان .

وعندما وصلوا إلى المنحدر الأخير اقترب « جاك » و « روجر » ، وتحولا من البقع الحالكة السواد إلى هيكلين يمكن التمييز بينهما ، وعن طريق الموافقة الجماعية الضمنية توقفوا جميعاً وربضوا معاً . وخلفهم فوق الأفق كانت توجد مساحة من السماء ، فاتحة اللون نسبياً ، حيث كان القمر على وشك البزوغ بعد لحظات قليلة . وزأرت الرياح مرة واحدة فى الغابة ، فدفعت أثمالهم البالية وجعلتها تلتصق بأجسادهم .

وتحرك « رالف » :

– هيا بنا ؟

وراحوا يزحفون للأمام . وكان « روجر » متأخراً للوراء قليلاً ، وشعروا بالكراهية نحو الجبل ، وكانت الأطوال المتلألئة للاجون ترقد أسفلهم ، ووراءها كانت توجد الشعب المرجانية الملطخة باللون الأبيض ، ولحق «روجر» بهما .

وهمس « جاك » :

– هيا بنا نزحف للأمام على أيدينا وأرجلنا . . فلربما يكون الوحش نائماً .

وتقدم « روجر » و « رالف » للأمام تاركين « جاك » فى هذه المرة فى المؤخرة ، برغم كل كلماته الشجاعة ، ووصلوا إلى القمة المستوية التى يكون فيها الصخر صلباً بالنسبة للأيدى والركب .

– مخلوق انثفخت أودا جه .

ووضع « رالف » يده في الرماد الناعم البارد المتخلف عن النيران وكتم صرخة كادت تفلت من فمه ، حيث ظهر ألم حاد فجائى فى يده وكتفه بسبب الاحتكاك غير المتوقع ، وظهرت كالوميض الأضواء الخضراء وتغلغلت متلاشية فى الظلام ، واستلقى « روجر » خلفه ، وكان فم « جاك » قريباً من أذنه .

– هنالك – حيث توجد عادة الفجوة فى الصخر – نوع من السنام المحدب . . أترى ؟

وهب الرماد فى وجه « رالف » متصاعداً من النيران الميتة ، فلم يستطع مشاهدة الفجوة أو أى شىء آخذ ؛ لأن الأضواء الخضراء بدأت تهجم عليه مرة أخرى ، وتتصاعد فى تزايد ، وبدأت قمة الجبل تنزلق على جانب .

ومرة أخرى همس « جاك » مترامياً إليه من مسافة بعيدة :

– أأنت خائف ؟

ولم يكن خائفاً بقدر ما كان مشدوهاً ومشلولاً . كان معلقاً هنا ، غير قادر على الحركة فوق قمة جبل آخر فى التناقص ، وانزلق « جاك » بعيداً عنه ، وارتطم « روجر » وتحسس مرتبكاً ومتنفساً فى صوت كالهسهسة ، ومر مندفعاً للأمام وسمعهما يتهامسان .

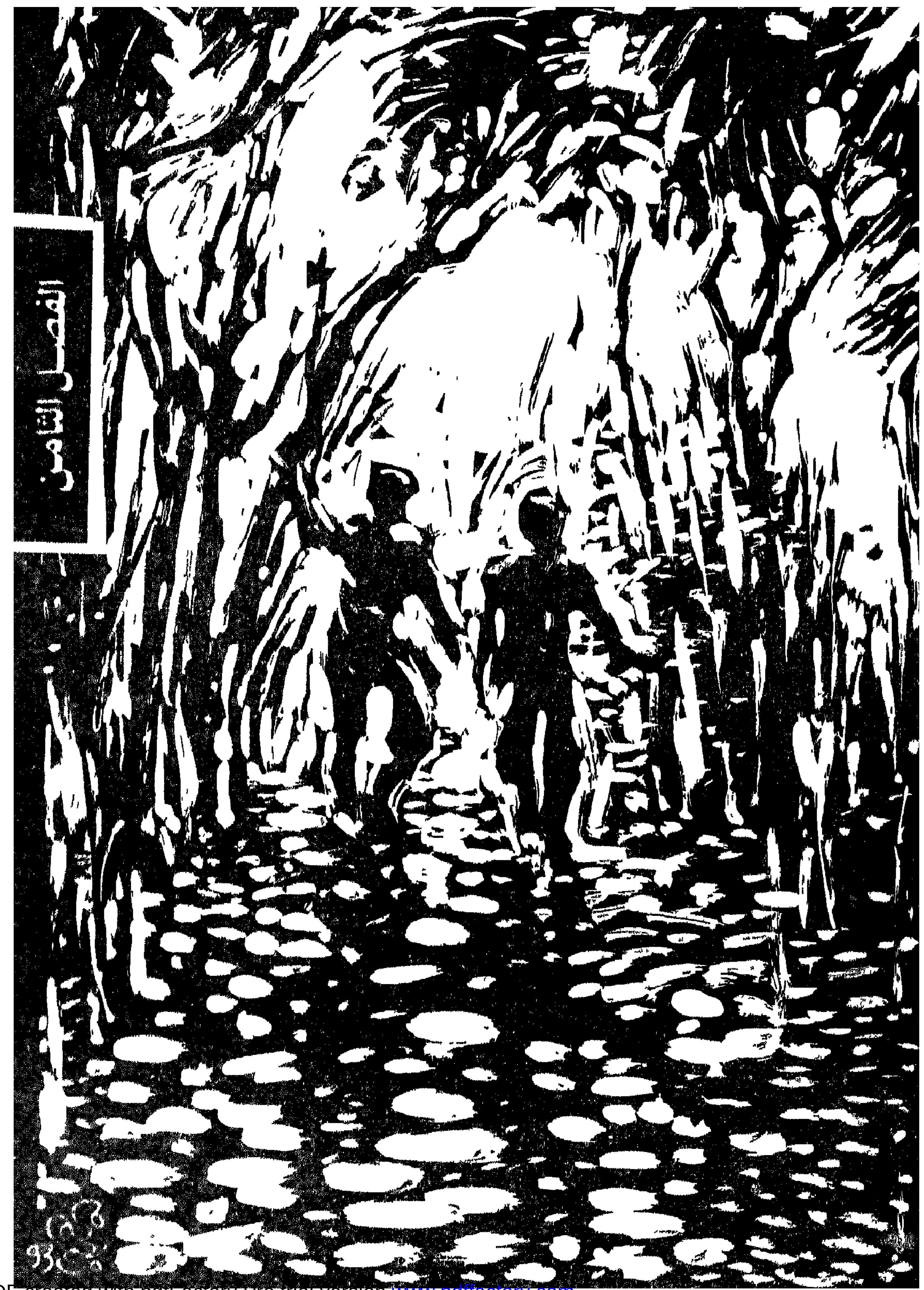
– هل ترى أى شىء ؟

– هنالك . .

وكان يوجد أمامهم – وعلى مسافة ثلاث أو أربع ياردات فقط – سنام محدب يشبه الصخرة فى مكان خالٍ من الصخور . وتمكن « رالف » من سماع صوت اصطكاكٍ ضئيل للغاية يأتى من مكان ما . ربما من فمه هو وربط نفسه مع إرادته برباط وثيق ، وأذاب خوفه ونفوره وحولهما إلى طاقة من الكراهية ، ثم وقف على قدميه . واتخذ خطوتين ثقيلتين مرهقتين نحو الأمام .

وأضاءت خلفهم شظية من القمر متحررة من قيود الأفق . وكان أمامهم شىء ما مثل قرد كبير قد جلس مستغرقاً فى النوم ، وقد وضع رأسه بين ركبتيه ، وبعدئذ زأرت الرياح فى الغابة ، وحدث هنالك اضطراب فى الظلام ، ورفع المخلوق رأسه وهو يحمل نحوهم بقايا وجهه المحطم .

ووجد « رالف » نفسه يتخذ خطوات عملاقة بين الرماد ، وسمع مخلوقات أخرى تصرخ وتقفز ، وفعلوا المستحيل فوق المنحدر المظلم ، وسرعان ما أصبح الجبل مهجوراً ، حيث لم يتبق فوقه أى شىء . باستثناء العصى الثلاثة التى تركوها ، بالإضافة إلى ذلك الشىء الذى كان يحنى رأسه .


الفصل الثامن





رفع « بيجى » بصره فى بؤس وتعاسة عن «البلاج» الشاحب بسبب قرب حلول الفجر ، ونظر إلى الجبل المظلم .

– أأنت متأكد ، أقصد هل أنت متأكد تماماً ؟

فقال « رالف » :

– لقد قلت لك عشرات المرات إننا شاهدناه !

– هل تعتقد أننا فى أمن وأمان بالأماكن السفلية هنا؟

– كيف يمكننى أن أعرف ذلك ؟

واهتز « رالف » مبتعداً عنه ، وسار خطوات قليلة على طول « البلاج » وكان « جاك » راكعاً وهو يرسم نموذجاً دائرياً على الرمال بأصبع السبابة . وترامى صوت « بيجى » إليهما . وكان صوته مكتوماً .

– هل أنتم متأكدون ؟ حقاً ؟

فقال « جاك » فى ازدراء :

اصعد إلى الجبل وشاهد بنفسك ، وتخلص منه .

– لا داعى للخوف .

فقال « رالف » :

– الوحش له أسنان ، وعيناه سوداوان كبيرتان . .

وارتعد فى عنف ، وخلع « بيجى » نظارته ذات العدسة الواحدة وراح ينظفها .

– وماذا سنفعل ؟

فالتفت « رالف » نحو الرصيف . . وكانت المحارة تلمع بين الأشجار ، وكانت هناك نقطة بيضاء على المكان الذى ستشرق منه الشمس ، ورفع كتلة شعره الكثيفة إلى الوراء :

– لست أدرى .

وتذكر الهروب الجنونى وهم يهبطون على سفح الجبل :

– لا أعتقد أننا سنتمكن فى يوم ما من محاربة شىء له نفس هذا الحجم ، وهذا الكلام أقوله لكم بكل صدق وأمانة ، فنحن نتناقش ولكننا لا نستطيع أن نقاتل نمراً ، حيث سنلجأ للتخفى والاختباء ، وحتى « جاك » نفسه سيختبىء .

وكان « جاك » لا يزال ينظر إلى الرمال .

– وماذا عن الصيادين التابعين لى ؟

وجاء « سيمون » متسللاً من بين الظلال القريبة من الأكواخ . .

وتجاهل « رالف » تساؤل « جاك » . وأشار إلى مسحة اللون الأصفر الموجودة فوق البحر .

– طالما يوجد هناك ضوء ونور فنحن نشعر بالشجاعة الكافية . ولكن ما العمل إزاء ذلك الشيء الذى يقبع بجوار مكان النيران كما لو كان لا يريد لنا أن ننقذ حياتنا ؟

وبدأ يلوى ويفرك يديه بدون وعى ، وارتفع صوته :

– وبذلك لن نتمكن من إشعال نيران الإشارة . . لقد هزمنا وظهرت نقطة من الأشعة الذهبية فوق البحر ، وسرعان ما أشرقت السماء كلها بالضوء .

– وما رأيكم فى الصيادين التابعين لى ؟

– أولاد مسلحون بالعصى .

ونهض « جاك » واقفاً على قدميه ، وكان وجهه محتقنا بالدماء وهو يسير مبتعداً . ووضع « بيجى » نظارته ذات العدسة الواحدة على وجهه ونظر إلى « رالف » :

– لقد أخطأت الآن فقد كنت وقحاً فيما يتعلق بالصيادين التابعين له ،

– أوه ! اخرس !

وقطع عليهما حديثهما صوت المحارة التى نفخ فيها شخص ما بطريقة غير سليمة تدل على عدم الخبرة فى النفخ . واستمر « جاك » فى النفخ . . كما لو كان يعزف « سيريناداً » للشمس البازغة إلى أن دبت الحركة فى الأكواخ ، وزحف الصيادون نحو الرصيف ، وتذمر الأطفال الصغار كعادتهم ، ونهض « رالف » ملبياً النداء فى طاعة وامتثال ، وكذلك نهض «بيجى » وذهبا إلى الرصيف .

وقال « رالف » فى مرارة :

– كلام فى كلام فى كلام لا ينتهى . .

وأخذ المحارة من « جاك » :

– إن هذا الاجتماع . .

فقاطعه « جاك » :

– أنا الذى دعوت إلى عقد هذا الاجتماع .

– لو لم تدعُ إلى عقد الاجتماع لكنت قد دعوت إليه . كل ما فعلته أنت هو أنك نفخت فى المحارة .

– حسناً . أليس النفخ فى المحارة هو الدعوة إلى عقد اجتماع ؟

– أوه ! خذ المحارة . استمر فى كلامك . . تحدث !

ودفع « رالف » المحارة بين ذراعى « جاك » وجلس على جذع الشجرة .

فقال « جاك » :

– لقد دعوت إلى عقد اجتماع لمناقشة عدة موضوعات . أول شىء هو أنكم تعرفون الآن أننا قد شاهدنا الوحش ، فقد زحفنا صاعدين وأصبحنا على مسافة أقدام قليلة منه ، واعتدل الوحش فى جلسته ونظر إلينا ، ونحن لا نعرف ما يفعله هذا الوحش هناك ، بل ولا نعرف كنهه ونوعه .

فتعالت الأصوات :

– هذا الوحش خرج من البحر .

– بل خرج من الظلام .

– بل من الأشجار .

فصاح « جاك » :

– التزموا بالهدوء ! استمعوا إلى ، إن الوحش جالس هنالك . ومهما يكن من أمر هذا الوحش .

– فربما يكون منتظراً القيام بأعمال الصيد والقنص . .

– نعم . . قد يكون منتظراً لكى يقوم بالصيد .

فقال « جاك » :

– الصيد .

وتذكر ارتجافه وارتعاشه القديم للغاية فى الغابة :

– نعم ، الوحش بمثابة صياد ، كل ما هنالك أن تلتزموا بالصمت ، والشىء الثانى هو أننا لم يكن بمقدورنا أن نقتله . والشىء الثالث هو أن «رالف » قال عن الصيادين التابعين لى إنهم ليسوا على ما يرام . .

– لم أقل هذا الكلام على الإطلاق .

– مازالت المحارة فى يدى . . إن « رالف » يعتقد أنكم جبناء وتهربون من الخنزير البرى ومن الوحش ، وليس هذا هو كل ما أريد قوله .

وكان هناك نوع من الترقب والشعور بالحسرة كما لو كان كل واحد منهم يعرف مقدماً ما سيفصح عنه من كلام . واستطرد « جاك » بصوت مرتجف ، وإن كان فى شىء من العزم والتصميم .

مواصلاً كلامه أثناء الصمت الخالى من روح التعاون :

- فهو يشبه « بيجى » ويقول نفس الكلام الذى يقوله « بيجى »
لم يعد يصلح كزعيم .

وأمسك « جاك » بالمحارة فى مزيد من الإحكام :

- بل هو نفسه شخص جبان .

وتوقف للحظات ثم استطرد :

- ففوق الجبل كنت أنا و « بيجى » نشق طريقنا فى المقدمة ، وكـ
متخاذلاً وراءنا .

- ولكنى سرت فى المقدمة أيضاً .

- فى المؤخرة .

وحملق الولدان كل منهما للآخر من خلال الشعر المتدلى على و-
وقال « رالف » :

- لقد واصلت المسير أيضاً ، وبعدئذ أسرعت هارباً ، وأنت أيضاً
بالفرار .

- معنى هذا أنك تتهمنى بالجبن .

والتفت « جاك » نحو الصيادين .

- وهو ليس صياداً ، ولم يسبق له أن أحضر لنا لحوماً ؛ وهو إنسان
على ما يرام ، ولا نعرف أى شىء عنه . . وهو لا يفعل شيئاً سوى إ
الأوامر ، ويتوقع من الناس إطاعة أوامره بدون مقابل ، وبدون أن يقد
شيئاً . لا يقدم سوى الكلام والكلام .

فصاح « رالف » :

- الكلام ! الكلام ! من الذى يريد كل هذا الكلام ؟ ومن الذى دعا إلى عقد الاجتماع ؟

فتصاعدت الدماء فى وجه « جاك » وغاص ذقنه للخلف ، وحملق مشدوهاً لأعلى تحت حاجبيه .

وقال بلهجة لها طابع التهديد والمعنى العميق :

- وهو كذلك . وهو كذلك !

وأسند المحارة على صدره بيد واحدة ، وطعن الهواء بأصبع السبابة .

من منكم يعتقد أن « رالف » ينبغى ألا يكون رئيساً ؟

ونظر فى ترقب مملوء بالأمل إلى الأولاد المصطفين على شكل دائرة ، والذين كانوا قد أصيبوا بما يشبه التخدير والتجمد والمشاعر الباردة .

وكان هناك صمت مطبق تحت أشجار النخيل .

فقال « جاك » فى قوة :

- من يريد ألا يكون « رالف » رئيساً يرفع يديه .

ولكن الصمت استمر بطيئاً ومملوءاً بالخجل والحياء . وانسحب اللون الأحمر تدريجياً من وجه « جاك » ، ثم عاد إلى وجهه فى اندفاع مؤلم ، ولعق شفتيه ، وأمال رأسه بزاوية حتى يتجنب التقاء نظراته مع عين أخرى .

- كم عدد الذين يعتقدون ؟

وتضاءل صوته تدريجياً ، واهتزت اليدان الممسكتان بالمحارة ، وسلك صوته وتكلم بصوت مرتفع :

- حسناً إذن .

ثم وضع المحارة بعناية شديدة على العشب عند قدميه ، وكانت دموع الإذلال تسيل من عينيه :

- لن أقوم بأى دور بعد الآن ، لستُ معكم .

وكان معظم الأولاد ينظرون لأسفل فى تلك اللحظات نحو العشب أو تجاه أقدامهم ، وسلك « جاك » صوته مرة أخرى :

- لن أكون جزءاً من مجموعة « رالف » . .

ونظر إلى الكتل الخشبية الواقعة إلى جهة يده اليمنى ، وراح يحصى عدد الصيادين الذين كانوا يشكلون فى يوم ما جوقة المنشدين .

- إننى ذاهب بمفردى ، وهو يمكنه أن يصطاد لنفسه الخنازير الخاصة به . وأى شخص يرغب فى القيام بأعمال الصيد يمكنه المجىء معى أيضاً .

وسار متعثراً إلى خارج المثلث فى اتجاه الأراضى المنخفضة المؤدية إلى الرمال البيضاء .

- جاك !

فاستدار « جاك » ونظر خلفه نحو « رالف » . وصمت للحظات ، وبعدئذ صرخ فى تذمر وعنف وغضب :

- لا !



وقفز هابطاً من على الرصيف وجرى على « البلاج » بدون أن ينتبه لتساقط الدموع المستمر من عينيه . وأخذ « رالف » يرقبه إلى أن غامر فى داخل الغابة .

وكان « بيجى » ساخطاً .

– لقد ظللت أتكلم يا « رالف » وأنت اكتفيت بالجلوس هناك .

فتحدث « رالف » لنفسه فى هدوء وهو ينظر إلى « بيجى » بدون أن يراه .

– إنه سيعود إلينا ، عندما تغرب الشمس سيعود إلينا . ونظر إلى المحارة الموجودة فى يد « بيجى » :

– ماذا ؟

لا شىء !

وتوقف « بيجى » عن محاولاته الرامية إلى تعنيف وتوبيخ « رالف » وراح ينظف العدسة المتبقية من نظارته مرة أخرى ، وعاد إلى الموضوع الذى يريد التطرق إليه :

– يمكننا الاستغناء عن « جاك » فهناك آخرون كثيرون غيره فى هذه الجزيرة ، ولكن المشكلة هى أننا لدينا الآن وحش على هذه الجزيرة وإنْ كنت أنا شخصياً أشك فى وجود هذا الوحش ، وفى رأيى أننا يجب أن نبقى قريبين من الرصيف ، ولن نحتاج إلى « جاك » فى هذه الحالة ، ولن نحتاج إلى الصيد الذى يقوم به ؛ ولذلك يمكننا الآن أن نتخذ القرار بشأن ما هو صالح ومفيد لنا ، ونفرق ما بين الغث والثمين . .

– لا يوجد علاج للموقف يا « بيجى » . لا يمكننا أن نفعل شيئاً .

وظلوا جالسين لبعض الوقت فى صمت مملوء باليأس . . وبعدئذ وقف «سيمون » وأخذ المحارة من « بيجى » الذى كان مذهولا للغاية ، حتى إنه ظل واقفاً على قدميه . ونظر « رالف » لأعلى نحو « سيمون » .

– سيمون ؟ ماذا ستقول فى هذه المرة ؟

ودبت أصوات السخرية فى أوصال الحلقة ، وتضايق « سيمون » بسبب هذه الأصوات .

– فى رأيى أنه ينبغى أن يكون هنا شىء ما نفعله . شىء ما نضعه فى خطتنا .

واحتبس صوته مرة أخرى بسبب الضغوط النابعة من المجتمعين ، وسعى للحصول على المساعدة والتعاطف فاختار « بيجى » والتفت قليلاً نحوه وأمسك بالمحارة بقوة على صدره البنى اللون .

– أعتقد أنه ينبغى لنا أن نصعد الجبل .

فارتعدت الحلقة فى خوف – وتوقف « سيمون » عن الكلام فجأة ، والتفت نحو « بيجى » الذى كان ينظر إليه نظرات مملوءة بالسخرية وعدم الفهم :

– وما فائدة الصعود إلى ذلك الوحش الموجود هنالك فى حين لم يتمكن «رالف » والشخصان الآخران من عمل أى شىء فى المرة السابقة ؟

فهمس « سيمون » بالإجابة قائلاً .

– وهل هناك شىء آخر يمكننا أن نفعله ؟

وبعد أن فرغ « سيمون » من خطبته سمح « لبيجى » أن يأخذ المحارة من

يديه . وبعدئذ انسحب متراجعاً وجلس بعيداً عن الآخرين بقدر الإمكان .

وبدأ « بيجى » يتكلم فى مزيد من اليقين ولو لم تكن الظروف عصيبة للغاية لكان الحاضرون قد أدركوا أنه يتكلم أيضاً فى شىء من البهجة والسعادة .

– لقد سبق أن قلت : إنه يمكننا أن نتصرف ونعالج الأمور بدون وجود شخص معين معنا ، والآن أقول لكم إنه ينبغى أن نقرر ما يمكننا أن نفعله ، وأعتقد أن بمقدورى أن أقول لكم وأخبركم بما سيقوله لكم « رالف » تواً . إنه سيقول لكم إن أهم شىء فى هذه الجزيرة هو إطلاق الدخان ، ولا يمكن أن نطلق الدخان بدون أن نشعل النيران .

وصدرت عن « رالف » حركة تنم عن القلق :

– لن نذهب لإشعال النيران يا « بيجى » فذلك الشىء يجلس لنا هنالك فوق الجبل . . سنضطر للبقاء هنا .

فرفع « بيجى » المحارة كما لو كان يريد إضافة بعض القوة لكلماته التالية :

– إذا كنا لا نملك إشعال النيران فوق الجبل فلماذا لا نشعل النيران فى الأماكن السفلية هنا . حيث يمكننا إقامة النيران بين تلك الصخور ، بل ويمكن إقامتها على الرمال أيضاً ، وبهذه الطريقة نحقق غرضنا ونطلق الدخان ؟

– هذا كلام سليم !

– الدخان !



– عند بركة الاستحمام !

وبدأ الأولاد يثرثرون ويتكلمون كالمعتوهين ، وكان « بيجى » هو الوحـ
الذى لديه الجرأة الذهنية التى أعانته على اقتراح نقل النيران من الجبل
وقال « رالف » :

– إذن سنشعل النيران فى الأماكن السفلية هنا .

ونظر فيما حوله :

– ويمكننا أن نقيم النيران فى هذا المكان الذى يقع ما بين بركة الاستحـ
والرصيف . وبالطبع . .

وتوقف على الكلام متجهماً ، وراح يفكر وهو يقضم بدون وعى أ
أظافره بأسنانه .

– بالطبع لن يظهر الدخان بكميات كبيرة ، ولن يشاهد من مسافا
بعيدة ، ولكننا لا نستطيع الاقتراب ، الاقتراب من . .

فأومأ الآخرون وقد فهموا تماماً ما يهدف إليه ، فلن تكون هناك حاجة
الاقتراب .

– سنقوم بإشعال النيران الآن .

إن أعظم الأفكار هى الأفكار التى تتسم بالبساطة ، وما إن وجدوا شـ
يفعلونه حتى راحوا يعملون فى حماس واهتمام شديدين . وكان « بيجى
يموج بالبهجة والمزيد من الحرية عقب رحيل « جاك » كما كان يمو
بالفخر وهو يشارك لصالح الجماعة ، حتى إنه ساعد فى الذهاب وإحضـ
الأخشاب ، وكانت الأخشاب التى يحضرها قريبة وفى متناول اليد ، حيـ

كانت هناك شجرة واقعة على الأرض وملقاة على الرصيف ، ولم يكونوا بحاجة إلى الاستعانة بتلك الشجرة أثناء الاجتماعات ؛ لأن قدسية الرصيف كانت قد حمت كل شيء موجود هناك ، حتى ولو كان عديم الفائدة . وبعدئذ أدرك التوءمان أنهما سيحصلان على نيران بالقرب منهما ، مما سيجعلهما يشعران بالارتياح والراحة فى الليل ، وقد دفع هذا القرار بعض الأطفال الصغار إلى الرقص والتصفيق بالأيدى .

ولم تكن الأخشاب فى نفس جفاف الأخشاب التى كانت تستخدم فوق الجبل ، فالكثير منها كان رطباً ومسوساً ، ومليئاً بالحشرات المهرولة بسرعة ، لذلك كان الأمر يستلزم رفع الكتل الخشبية من فوق الأرض بعناية وحرص ؛ لكيلا تتهشم وتتقوض وتتحول إلى مسحوق مخضل بالماء ، والأكثر من هذا أن الأولاد لكى يتجنبوا التوغل فى الغابة كانوا يركزون على الأخشاب القريبة الملقاة على الأرض ، بغض النظر عن تشابكها مع نباتات جديدة نامية ، فمشارف الغابة وحوافها والصخور المنخفضة القريبة من البحر كانت أماكن مألوفة لهم ؛ لأنها قريبة من المحارة والأكواخ ، ومحببة للغاية فى ضوء النهار. ولم يفكر أحد فيما يمكن أن يكونوا عليه بالليل ؛ ولذلك راحوا يعملون فى نشاط كبير وبهجة هائلة ، ومع ذلك أصبح هناك مع مرور الوقت مسحة من الرعب فى نشاطهم ، وقدر من الهستيريا فى ابتهاجهم ، وشيدوا هرماً من الأوراق والأغصان والفروع والكتل الخشبية فوق الرمل العارى بجوار الرصيف ، ولأول مرة فى الجزيرة خلع « بيجى » نظارته التى تضم عدسة واحدة وركع على الأرض وقام بتركيز أشعة الشمس على الأوراق سريعة الاشتعال ، وسرعان ما ظهر سقف من الدخان وكتلة من اللهيب الأصفر اللون .

وشعر الأطفال الذين لم يشاهدوا سوى نيران قليلة من الكارثة الأولى بالإثارة الجنونية ، فراحوا يرقصون ويغنون وينشدون ، وساد بين الجميع جو يشبه جو حفلات السمر .

وأخيراً توقف « رالف » عن العمل ، ووقف وراح يمسح العرق عن وجهه، وقال :

- ينبغي أن نحرص على إشعال نيران صغيرة ، فهذه النيران كبيرة للغاية ، بحيث لا يمكنها الاستمرار بدون انطفاء .

وجلس « بيجي » على الرمال فى حرص وبدأ ينظف نظارته ذات العدسة الواحدة ، وقال :

- يمكننا أن نجرى التجارب . وينبغى أن نعرف كيفية إشعال نيران صغيرة حامية ، وبعدئذ نضع عليها أغصاناً خضراء للحصول على الدخان، ولابد أن هناك أنواعاً من الأوراق أفضل من أنواع أخرى .

وما إنْ هدأت النيران حتى انتهت مشاعر الإثارة ، فتوقف الأطفال الصغار عن الرقص والغناء والإنشاد ، وبدءوا يسيرون فى تثاقل نحو البحر، أو أشجار الفاكهة ، أو الأكواخ .

وألقى « رالف » نفسه فى تثاقل على الرمال .

- سيتعين علينا أن نعد قائمة أخرى جديدة بأسماء من سيهتمون بشئون النيران .

- إذا استطعت العثور عليهم .

ونظر فيما حوله ، وعندئذ أدرك لأول مرة أن عدد الأولاد الكبار ضئيل ، وأدرك السبب الذى جعل العمل شاقاً للغاية .

- أين « موريس » ؟

ومسح « بيجى » نظارته المكونة من عدسة واحدة .

- أتوقع أن يكون . . لا ، فهو لن يذهب إلى الغابة بمفردة . . أليس كذلك؟

فقفز « رالف » وجرى بسرعه حول النيران ، ووقف بجوار « بيجى » ممسكاً بشعره .

- ولكن كان ينبغى أن يكون لدينا قائمة بالأسماء . . يوجد الآن : «أنت» و « أنا » و « سام » و « إيريك » و . .

ولم يستطع النظر إلى « بيجى » ولكنه تكلم بطريقة عارضة :

- أين « بيل » ؟ وأين « روجر » ؟

فانحنى « بيجى » للأمام ووضع قطعه من الأخشاب فوق النيران :

- أتوقع أنهما قد انصرفا . . وأتوقع أنهما لن يشتركا فى اللعب أيضاً . وجلس « رالف » وبدأ يحفر ثقوباً صغيرة فى الرمال ، وقد أدهشه أن يرى أن أحداً تتساقط منه قطرة دماء بجوار الرمال ، وفحص ظفره المقضوم عن كثب ، وشاهد قطرة الدماء الصغيرة التى تجمعت فى المكان الذى قُضِمَ ، والذى يحيط بالظفر .

واستأنف « بيجى » كلامه :

- لقد شاهدتهما وهما يتسللان بعيداً أثناء قيامنا بتجميع الأخشاب . ولقد سارا فى ذلك الاتجاه ، وهو نفس الاتجاه الذى سار فيه « جاك » .

وانتهى « رالف » من فحص ظفره ، ونظر لأعلى نحو الهواء ، وكانت السماء مختلفة فى ذلك اليوم ومملوءة بالضباب الشديد ، حتى إن الهواء الساخن فى بعض الأماكن كان يبدو أبيض اللون ، وكأنما كانت السماء تتعاطف مع التغييرات الهائلة التى حدثت بينهم ، وكان قرص الشمس مثل الفضة المعتمة ، كما لو كان أكثر قرباً وأقل حرارة ، ولكن الهواء كان خانقاً .

- لقد كانوا يثيرون المتاعب دائماً ، أليس كذلك ؟

وجاء الصوت قريباً من كتفه ، وكانت نبرات الصوت تدل على القلق :

- يمكننا الاستغناء عنهم ، ولسوف نكون أكثر سعادة بدونهم ، أليس كذلك ؟

وجلس « رالف » وجاء التوءمان يجران كتلة خشبية كبيرة ويبتسمان فى بهجة لانتصارهما ونجاحهما ، وألقيا بالكتلة الخشبية بين الجمرات مما جعل الشرر يتطاير .

- وباستطاعتنا أن نبذل جهوداً صادقة بمفردنا ، أليس كذلك ؟

وجلس « رالف » على الرمال بدون أن يتكلم لفترة طويلة ، وذلك أثناء تعرض الكتلة الخشبية للجفاف ، ثم سريان النيران فيها وتحولها إلى اللون الأحمر الساخن ، ولم يشاهد « بيجى » وهو يذهب إلى التوءمين ويتهامس معهما ، بل لم يلحظ ذهاب الأولاد الثلاثة معاً إلى الغابة .

- أأنت هنا ؟

وأفاق من شروده الذهنى فى شىء من الاهتزاز ، وكان « بيجى » و« الآخرون » يقفون إلى جواره . وكانوا محملين بالفاكهة .

وقال « بيجى » لقد رأيت أنه ينبغى أن نتناول نوعاً من الطعام . وجلس الأولاد الثلاثة ، وكان معهم كمية هائلة من الفاكهة الناضجة للغاية ، وابتسموا لـ « رالف » عندما أخذ بعض الفاكهة وبدأ يتناولها . .

وقال « رالف » :

- شكراً .

وبعدئذ قال بلهجة تنم عن الدهشة والابتهاج :

- شكراً جزيلاً .

فقال « بيجى » :

- تصرف بنفسك فى الأمور ولا تعتمد عليهم ، فهؤلاء الناس ليس عندهم إدراك سليم ، وهم الذين يخلقون المتاعب فى هذه الجزيرة ، ولسوف نعمل على إشعال نيران صغيرة حامية .

وتذكر « رالف » ما كان يقلق باله :

- أين سيمون ؟

- لا أدرى .

- أتعتقد أنه ذهب ليتسلق الجبل ؟

فانفجر « بيجى » فى عاصفة من الضحك ، وتناول المزيد من الفاكهة .

- ربما ، فهو إنسان مخبول ومعتوه .

وابتلع كتلة الطعام التى تملأ فمه .

وكان « سيمون » قد مر عبر منطقة أشجار الفاكهة ، ولكن الأطفال

الصغار كانوا مشغولين للغاية فى إشعال النيران على البلاج ، مما حال بينهم وبين تتبعه واقتفاء أثره هنالك . واستمر « سيمون » فى سيره بين النباتات المتسلقة إلى أن وصل إلى الحصيرة الهائلة المنسوجة بالقرب من المساحة المكشوفة وزحف إلى داخلها . . وكانت أشعة الشمس تقذف بنفسها إلى ما وراء الحاجز المكون من الأوراق ، وكانت الفراشات ترقص فى المنتصف رقصاتها الدائبة المعروفة ، وانحنى لأسفل ، فسقط عليه سهم الشمس ، وفى المرة السابقة كان الهواء يبدو وكأنه يعطى ذبذبات حرارية ، ولكنه فى هذه المرة كان يهدد حياته ، وسرعان ما أخذ العرق ينساب من شعره الخشن الطويل ، فانتقل من مكانه إلى مكان آخر فى شىء من القلق، ولكنه لم يستطع تجنب الشمس ، وسرعان مابدأ يشعر بالعطش ، ثم بالعطش الشديد .

واستمر فى جلسته .

وفى مكان بعيد عن « البلاج » كان « جاك » واقفاً أمام مجموعة صغيرة من الأولاد ، وكانت السعادة تبدو على وجهه .

وقال :

– الصيد .

وسيطر على وجدانهم . كان كل واحد منهم يضع على رأسه بقايا طاقية سوداء ، وكانوا قد وقفوا منذ فترة طويلة فى صفين ، وكانوا يتسمون بالوقار والرزانة ، وكانت أصواتهم هى أغنية الملائكة :

– سنقوم بالصيد ، وسأكون أنا الرئيس .

فأومئوا برءوسهم ، ومرت الأزمة بسهولة .

- وبعد ذلك ننظر فى مسألة الوحش .

وتحركوا متجهين إلى الغابة .

- وأنا أقول لكم : لن يقلقنا موضوع الوحش .

وأومأ إليهم برأسه :

- سنتعمد نسيان الوحش ولا نفكر فيه .

- هذا الكلام سليم ؟

- نعم .

- يجب أن ننسى الوحش .

وإذا كان « جاك » قد دهش من اتقاد حماسهم ، فإنه لم يُظهر ذلك .

- وهناك شىء آخر ، لن نستلم كثيراً للأحلام فى هذه الأماكن السفلية الغريبة من « البلاج » فهذه الأحلام تجعلنا عاجزين عن إنجاز الأمور .

فوافقوا فى حماس خارج نطاق أعماق حياتهم الخاصة الغارقة فى القلق والعذاب .

- والآن استمعوا إلى . . قد نذهب فيما بعد إلى صخرة القلعة ، ولكن سأعمل على الحصول على مزيد من الأولاد الكبار الملتفين حول المحارة ، . وسنقوم باصطياد خنزير ونعد وليمة .

وتوقف عن الكلام للحظات ثم استطرد فى بطء .

- وفيما يتعلق بالوحش فإننا عندما نقتل خنزيراً سنترك له بعض لحوم الخنزير ، فلربما يؤدى هذا إلى امتناعه عن مضايقتنا .

ونهض واقفاً فجأة :

- سننطلق الآن إلى الغابة للقيام بأعمال الصيد .

واستدار وجرى مهرولاً ، فساروا بعد لحظات فى طاعة وامتثال . .

وانتشروا فى شىء من العصبية فى الغابة ، وعلى الفور عثر « جاك » على روث الخنازير ، والجذوع المبعثرة التى تدل على وجود خنازير ، وشاهد آثار الأقدام الحديثة للخنازير ، فأعطى إشارة لباقى الصيادين ؛ لكى يلتزموا بالهدوء ، وسار هو بمفرده متقدماً للأمام ، وكان سعيداً ، وكانت ملابسه القديمة البالية فى نفس لون ظلام الغابة المملوء بالرطوبة ، وزحف هابطاً على أحد المنحدرات المؤدية إلى بعض الصخور والأشجار المتناثرة بالقرب من البحر .

وكانت الخنازير مستلقية كحقائب منتفخة مملوءة بالشحوم واللحوم تستمتع استمتاعاً جسدياً بالظلال الوارفة تحت الأشجار ، ولم تكن هناك رياح ، وكانت الخنازير ترقد فى اطمئنان بدون أن تساورها أدنى شكوك .

وكان « جاك » قد تعلم من الخبرات السابقة أن يكون فى نفس صمت الظلال ، فتسلل مبتعداً مرة أخرى ، وأصدر أوامره للصيادين التابعين له المختبئين ، وسرعان ما بدءوا جميعاً فى التقدم للأمام ببطء شديد وهم يتصببون عرقاً بين جوانب الصمت والحرارة ، ورفرفت سنبلة قمح فى تكاسل تحت الأشجار ، وكانت أكبر خنزيرة ترقد مبتعدة قليلاً عن باقى الخنازير ، وكانت غارقة فى غبطة مادية عميقة ، وكان جلدها يكتسى باللون الأسود واللون الوردى ، وكان الكيس الهائل لبطنها مطرزاً بصف من الخنازير الصغيرة التى كانت إما مستغرقة فى النوم أو منهمكة فى النبش

والحفر ، أو منخرطة فى صراخ رفيع حاد .

وتوقف « جاك » على مسافة ١٥ ياردة من قطيع الخنازير ، وصوب ذراعه نحو الخنزيرة الكبيرة فى دقة كبيرة ، ونظر حوله مستفسراً ؛ لكى يتأكد أن كل شخص قد فهم ، وأومأ جميع الأولاد له برءوسهم ، وانزلق للخلف صف الأذرع اليمنى :

- الآن !

ووقفت الخنازير فجأة فى رعب ، وطارت الرماح الخشبية برءوسها المدببة للغاية من على مسافة عشر ياردات فقط نحو الخنزيرة ، التى وقع عليها الاختيار ، واندفعت خنزيرة صغيرة فى صراخ حاد مجنون نحو البحر وهى تجر وراءها الرمح الذى أطلقه « روجر » ، وصرخت الخنزيرة الكبيرة صرخة حادة لاهثة وترنحت لأعلى عندما انغرس رمحان فى خصرها ، وتصايح الأولاد واندفعوا للأمام ، وتبعثرت الخنازير الصغيرة وشقت الخنزيرة الكبيرة طريقها بين صف الأولاد ، وارتطمت وتخبطت وهى تتجه بصعوبة نحو غياهب الغابة .

- انطلقوا وراءها !

فتسابقوا وراء آثار أقدام ، ولكن الغابة كانت مظلمة متشابكة للغاية ، حتى إن « جاك » راح يلعن ويسب ، وأوقف الأولاد وألقى نظرات سريعة بين الأشجار ، ولم يقل شيئاً لبعض الوقت ، إلا أنه كان يتنفس فى وحشية ، مما جعلهم يشعرون بالرعب ، وينظر بعضهم لبعض فى إعجاب مشوب بالقلق . وسرعان ما أشار بأصبعه فى عنف نحو الأرض .

- وهنالك .

وقبل أن يتمكن الآخرون من فحص نقطة الدماء كان « جاك » قد انحرف فجأة ، وبدأ يخمن مكان آثار الأقدام على وجه التقريب ويلمس غصناً متداعيا ، ثم سار نحو اليمين فى شىء من التردد والغموض ، ثم على نحو أكيد ، فتتبعه الصيادون .

وتوقف أمام مخبأ .

- إنها توجد هنالك فى المخبأ .

فأحاطوا بالمخبأ ، ولكن الخنزيرة تمكنت من الإفلات إلا أنها أصيبت برمح آخر فى خصرها ، وكانت الأطراف الغليظة للرماح المتدلية من جسدها تعوقها ، كما كانت الأطراف المدببة للرماح المنغرسة فى جسدها تسبب لها عذاباً شديداً ، وتعثرت فى شجرة ، فأدى ذلك إلى دخول الرماح فى جسدها لمسافات أبعد ، فأصبح بعد ذلك من السهل على أى واحد من الصيادين تتبعها عن طريق نقط الدماء الزاهية .

وكانت فترة ما بعد الظهر مثيرة للأعصاب ومملوءة بالضباب ، وشنيعة بسبب الحرارة الشديدة المشبعة بالرطوبة ، فترنحت الخنزيرة وهى تشق طريقها بصعوبة أمامهم ، فى حين كانت الدماء تنزف منها ، والجنون يشع منها . وكان الصيادون يتتبعونها ويشدون عليها فى رغبة عارمة ، حيث كانوا يشعرون بالإثارة الشديدة الناجمة عن المطاردة الطويلة ، والدماء التى تتساقط قطرة وراء قطرة ، وبعدئذ أصبح بمقدورهم رؤيتها ، بل والتقدم وراءها بنفس سرعتها ، ولكنها استجمعت كل ما لديها من قوة متبقية وانطلقت مسرعة أمامهم مرة أخرى ، وأصبحوا وراءها مباشرة ، عندما ترنحت فى مكان مكشوف ، حيث كانت توجد أزهار جميلة ، وحيث كانت

الفراشات تتراقص حول بعضها البعض ، وحيث كان الهواء حاراً وساكناً .

وهنا أصيبت الخنزيرة بالانهيار تحت وطأة الحرارة الشديدة ، فسقطت على الأرض ، فألقى الصيادون بأنفسهم نحوها ، وهذا الهياج المخيف القادم لها من عالم مجهول لها جعلها مسعورة فى جنون ، فراحت تصرخ فى حدة ، وتقاوم فى عناد ، وكان الجو مشبعاً بالعرق والضجيج والدماء والرعب ، وجرى « روجر » حول الكومة وراح ينخس بحربته كلما ظهرت لحوم الخنزيرة ، وكان « جاك » معتلياً الخنزيرة وهو يطعنها بسكينته ، ووجد « روجر » موضعاً لرأس الحربة الخاصة به ، وراح يدفع ويدفع إلى أن أصبح مستنداً بكل ثقله . فتحرك الرمح للأمام بوصة وراء بوصة ، وأصبح الصراخ الحاد الممتلىء بالرعب صراخاً عالياً للغاية ، إلى حد الجنون ، وبعدئذ عثر «جاك » على حلق الخنزيرة ، فتدفقت الدماء ساخنة فوق يديه ، فانهارت الخنزيرة تحتهم ، وكان وزنهم ثقيلاً فوقها ، وكانت طموحاتهم قد تحققت فوق جسدها . وكانت الفراشات مازالت تتراقص ، ومازالت منهمكة فى وسط الأراضى الفضاء .

وأخيراً هدأت الأعمال الفورية العاجلة التى تتعلق بالقتل ، وتراجع الأولاد للخلف ، ونهض « جاك » واقفاً ماداً يديه .

- انظروا !

وانخرط فى الضحك ، وراح يضربهم فى رفق ، وضحك الأولاد عندما شاهدوا راحتى يديه الملطختين بالدماء والروائح الكريهة ، وبعدئذ قام «جاك » بجذب « موريس » نحوه ، ومسح يديه الملطختين بالدماء فى وجنتى «موريس»، وبدأ « روجر » يشد رمحه ، ولاحظ الأولاد ذلك لأول

مرة، وثبت « روبرت » هذا الأمر فى عبارة جعلت الجميع يتفجرون فى عاصفة من الضجيج والصخب .

– على رد فيها مباشرة ؟

– هل سمعت ؟

– هل سمعت ما قاله ؟

– على ردفيها مباشرة ؟

وفى هذه المرة قام كل من « روبرت » و « موريس » بتمثيل الأحداث التى تمت . ومثل « موريس » دور الخنزيرة وهى تبذل جهوداً مضنية لتجنب الرمح المنطلق نحوها ، وكان تمثيله رائعاً للغاية ، حتى إن الجميع انفجروا فى الضحك الصاخب .

وأخيراً أصبح التمثيل مملاً وتافهاً ، وبدأ « جاك » ينظف يديه الملوثتين بالدماء فوق الصخر ، ثم عكف على العمل فى تجهيز الخنزيرة ، فشق بطنها، وسحب الجيوب الساخنة التى تضم الأحشاء الملوثة وألقاها على كومة حطب فوق الصخر ، فى حين كان الآخرون يرقبونه . وكان « جاك » يتكلم أثناء تأديته العمل :

– سنأخذ اللحوم ونذهب بها إلى البلاج ، وسأذهب أنا إلى الرصيف وأدعو الجميع لتناول الوليمة ، وذلك للاقتصاد فى الوقت .

وتكلم « روجر » :

– أيها الرئيس . .

– أوه ؟

- كيف يمكننا أن نشعل النيران ؟

فجلس « جاك » القرفصاء ونظر متجهما إلى الخنزير :

- سنغير عليهم . . سنشن غارة عليهم . ونحصل على النيران . . «هنرى» وأنت يا « روجر » و « بيل » و « موريس » سنطلى وجوهنا ، ونتسلل إليهم ، ويقوم « روجر » بخطف غصن مشتعل ، فى حين أقول أنا لهم ما أريد قوله ، والباقون منكم يعودون من حيث أتوا ؛ لأننا سنشعل النيران هناك . وبعد ذلك . .

وتوقف عن الكلام ونهض واقفاً ، وراح ينظر إلى الظلال المترامية تحت الأشجار ، وكان صوته منخفضاً عندما استأنف كلامه .

- ولكننا سنترك جزءاً من اللحوم من أجل . .

وركع لأسفل مرة أخرى ، وبدأ يعمل فى همة ونشاط مستخدماً سكينته ، وتزاحم الأولاد حوله ، وتكلم من فوق كتفه موجهاً كلامه لـ « روجر » .

- شذب عصاً من كلا الطرفين واجعلها حادة ؟

ونهض واقفاً على الفور ممسكاً برأس الخنزيرة التى تقطر دماء فى يديه .

- أين تلك العصا ؟

- ها هى ذى .

- احشر أحد طرفيها فى التربة . أوه ! إن التربة صخرية ! احشرها فى ذلك الشرخ هنالك . .

ورفع « جاك » الرأس لأعلى ، ودفع الحلق اللين بقوة لأسفل على الجانب

المدبب للعصا الذى اخترق إلى داخل الفم ، ووقف متراجعاً للخلف وكان الرأس معلقاً هناك ، فى حين كانت قطرات قليلة من الدماء تتساقط على العصا .

وبشكل غريزى تراجع الأولاد الآخرون للوراء أيضاً ، وكانت الغابة صامتة للغاية ، وراحوا ينصتون فى انتباه شديد ، فكان أعلى الأصوات هو صوت طنين الذباب الذى يحوم فوق الأمعاء الملقاة المتناثرة .

وتكلم « جاك » هامساً :

– التقطوا الخنزيرة ؟

فقام « موريس » و « روبرت » بوضع جثة الخنزيرة فى عصى كالأسياخ ، ورفعا الحمل الثقيل المميت ، ووقفا استعدادا . وظهر عليهما فجأة شىء من الدهاء وهما يقفان فوق الدماء الجافة وبين طيات الصمت المطبق .

وتكلم « جاك » بصوت مرتفع :

– هذا الرأس سنقدمه هدية للوحش .

وتقبل الصمت الهدية ، وأدخل فى قلوبهم الرعب والرهبة . . الرأس هنالك معتم العينين ، ومبتسم ابتسامة خفيفة ، ومسودة الدماء فيما بين أسنانها . ثم انطلقوا مهرولين فجأة وبأقصى سرعة ممكنة عبر الغابة ونحو « البلاج » المكشوف .

وظل « سيمون » واقفاً فى مكانه كتمثال صغير بنى اللون مختفٍ وراء الأوراق ، وحتى إذا أغلق عينيه فإن رأس الخنزير كان يتمثل فى ذهنه مثل الصورة المتلوية ، وكانت عيناه شبه المغلقتين قاتمتين بفعل المزاج الكلبى

للامحدود الذى يسود فترة المراهقة ، وأكدتا لـ « سيمون » أن كل شىء ما
هو إلا عمل ردىء . .

– أعرف ذلك .

وأدرك « سيمون » أنه قد تكلم بصوت مرتفع » ففتح عينيه بسرعة ، وكان
هناك الرأس المبتسم تحت ضوء النهار العجيب متجاهلة الذباب والأمعاء
المتناثرة ، بل ومتجاهلة الإهانة التى تكتنف وضع عصا فى جثتها كالخازوق
.

وأشاح بوجهه ، ونظر بعيداً وهو يلعق شفتيه الجافتين هدية من أجل
الوحش . ألا يستطيع الوحش أن يجىء ليأخذ الهدية ؟ وبدا له أن الرأس
يتفق معه فى الرأى . وقال له الرأس فى صمت : اهرب وأنقذ نفسك وعد إلى
الآخرين . لقد كانت نكته حقاً . . ولماذا ينبغى لك أن تهتم ؟ لقد كنت
فقط مخطئاً ، وهذا كل ما فى الأمر . شىء من الصداع ، وربما أكلت شيئاً
ما . عُد إلى الآخرين أيها الطفل . هكذا قال الرأس فى صمت .

ونظر « رالف » لأعلى وهو يشعر بثقل شعره المبلل ، وحملق فى السماء .
وهنالك فى الأعالى كانت توجد سُحُب فى هذه المرة فقط : بروج هائلة
تنكشط بعيداً فوق الجزيرة ، رمادية ، وصفراء شاحبة ، ونحاسية اللون .
وكانت السحب تحتضن الجزيرة ، وكانت تضغط على الجزيرة وتفرد لحظة
وراء لحظة هذه الحرارة المطبقة التى تبث العذاب ، بل إن الفراشات هجرت
المكان المكشوف الذى يبتسم فيه ذلك الشىء القذر ويقطر دماً . وأخفى
«سيمون » رأسه مع الحرص على الإبقاء على عينيه مغلقتين ، وبعدئذ وضع
يده على عينيه .

المدبب للعصا الذى اخترق إلى داخل الفم ، ووقف متراجعاً للخلف وكان الرأس معلقاً هناك ، فى حين كانت قطرات قليلة من الدماء تتساقط على العصا .

وبشكل غريزى تراجع الأولاد الآخرون للوراء أيضاً ، وكانت الغابة صامتة للغاية ، وراحوا ينصتون فى انتباه شديد ، فكان أعلى الأصوات هو صوت طنين الذباب الذى يحوم فوق الأمعاء الملقاة المتناثرة .

وتكلم « جاك » هامساً :

– التقطوا الخنزيرة ؟

فقام « موريس » و « روبرت » بوضع جثة الخنزيرة فى عصى كالأسياخ ، ورفعا الحمل الثقيل المميت ، ووقفا استعدادا . وظهر عليهما فجأة شىء من الدهاء وهما يقفان فوق الدماء الجافة وبين طيات الصمت المطبق .

وتكلم « جاك » بصوت مرتفع :

– هذا الرأس سنقدمه هدية للوحش .

وتقبل الصمت الهدية ، وأدخل فى قلوبهم الرعب والرهبة . . الرأس هنالك معتم العينين ، ومبتسم ابتسامة خفيفة ، ومسودة الدماء فيما بين أسنانها . ثم انطلقوا مهرولين فجأة وبأقصى سرعة ممكنة عبر الغابة ونحو «البلاج » المكشوف .

وظل « سيمون » واقفاً فى مكانه كتمثال صغير بنى اللون مختفٍ وراء الأوراق ، وحتى إذا أغلق عينيه فإن رأس الخنزير كان يتمثل فى ذهنه مثل الصورة المتلوية ، وكانت عيناه شبه المغلقتين قاتمتين بفعل المزاج الكلبى

اللامحدود الذى يسود فترة المراهقة ، وأكدتا لـ « سيمون » أن كل شىء ما هو إلا عمل ردىء . .

- أعرف ذلك .

وأدرك « سيمون » أنه قد تكلم بصوت مرتفع » ففتح عينيه بسرعة ، وكان هناك الرأس المبتسم تحت ضوء النهار العجيب متجاهلة الذباب والأمعاء المتناثرة ، بل ومتجاهلة الإهانة التى تكتنف وضع عصا فى جثتها كالخازوق .

وأشاح بوجهه ، ونظر بعيداً وهو يلعق شفتيه الجافتين هدية من أجل الوحش . ألا يستطيع الوحش أن يجىء ليأخذ الهدية ؟ وبدا له أن الرأس يتفق معه فى الرأى . وقال له الرأس فى صمت : اهرب وأنقذ نفسك وعد إلى الآخرين . لقد كانت نكته حقاً . . ولماذا ينبغى لك أن تهتم ؟ لقد كنت فقط مخطئاً ، وهذا كل ما فى الأمر . شىء من الصداع ، وربما أكلت شيئاً ما . عُد إلى الآخرين أيها الطفل . هكذا قال الرأس فى صمت .

ونظر « رالف » لأعلى وهو يشعر بثقل شعره المبلل ، وحملق فى السماء ، وهنالك فى الأعالى كانت توجد سُحُب فى هذه المرة فقط : بروج هائلة تنكشط بعيداً فوق الجزيرة ، رمادية ، وصفراء شاحبة ، ونحاسية اللون . وكانت السحب تحتضن الجزيرة ، وكانت تضغط على الجزيرة وتفرد لحظة وراء لحظة هذه الحرارة المطبقة التى تبث العذاب ، بل إن الفراشات هجرت المكان المكشوف الذى يبتسم فيه ذلك الشىء القذر ويقطر دماً . وأخفى «سيمون » رأسه مع الحرص على الإبقاء على عينيه مغلقتين ، وبعدئذ وضع يده على عينيه .

ولم تكن هناك ظلال تحت الأشجار . . وكان كلُ مكان يسوده سكون لؤلئى ، حتى إن الشىء الحقيقى كان يبدو وهمياً وبدون تحديد واضح . وكانت كومة الأمعاء بمثابة بقعة سوداء من الذباب الذى يئز ويطن مثل المنشار . وبعد برهة عثر هذا الذباب على « سيمون » ، فبعد أن أكل فى نهم وشراسة هبط على قطرات العرق المتصببة من « سيمون » وشرب . وراح الذباب يدغدغ تحت فتحتى أنفه ويلعب لعبة « النطة » الإنجليزية على فخذيه . وكان هذا الذباب أسود اللون ، ومتقزح الألوان ، وبأعداد هائلة لا حصر لها . وأمام « سيمون » كان سيد (Lord Of The Flies) الذباب ممسكاً بعصا « سيمون » فى تشبث ، وكان مبتسماً ، وأخيراً استسلم «سيمون» ونظر وراءه فشاهد الأسنان البيضاء ، والعينين المعتمتين ، والدماء وسيطرت على حملقته تلك المعرفة القديمة التى لا يمكن الهروب منها . وعلى صدغ « سيمون » الأيمن بدأ النبض يدق فى ذهنه .

وكان « رالف » و « بيجى » يرقدان على الرمال ويحملقان فى النيران ويلقيان بالحصى فى قلب النيران العديمة الدخان :

– لقد احترق تماماً ذلك الغصن .

– أين « سام » و « إريك » ؟

– ينبغى أن نحصل على المزيد من الأخشاب . ولقد نفدت مِنْ عندنا الأغصان الخضراء .

وتنهد « رالف » وهب واقفاً ، ولم تكن هناك أية ظلال تحت أشجار النخيل بمنطقة الرصيف ، لم يكن هناك سوى ذلك الضوء الغريب الذى

يبدو وكأنه يأتى من جميع الاتجاهات فى وقت واحد . وانطلق الرعد مدوياً فى الطبقات العليا بين السحب الكثيفة .

– سنحصل على كميات وفيرة من الماء تملأ دلاءً وآنية عديدة .

– وماذا عن النيران ؟

وهرول « رالف » مسرعاً نحو الغابة ، وعاد ومعه غصن أخضر اللون به أوراق عريضة ، وألقى به فى النيران فطقطق وخشخش وتجعدت الأوراق ، وتصاعد الدخان الأصفر اللون منتشراً .

وأخذ « بيجى » يرسم نموذجاً فى الرمال بأصابعه على سبيل التسلية .

– المشكلة الآن هى أنه لا يوجد هنا معنا عدد كافٍ من الناس لرعاية شئون النيران ، ويمكنك أن تعتبر « سام » و « إريك » شخصاً واحداً ، فهما يفعلان كل شيء معاً .

– بالطبع .

– حسناً . ليس هذا عدلاً ، أليس كذلك ؟ ينبغى لهما أن يأخذا دورتين فى العمل لا دورة واحدة .

وفكر « رالف » فى هذا الكلام وفهم جوانب الموقف ، وتضايق من نفسه عندما أدرك أن تفكيره محدود ولا يتناسب مع ولد كبير مثله ، وتنهد مرة أخرى ، لقد كانت الجزيرة تسير من سيىء لأسوأ .

ونظر « بيجى » إلى النيران .

– سنحتاج حالاً إلى غصن أخضر آخر .

فدار« رالف » على قدمه :

– يا « بيجى » ماذا سنفعل ؟

– سندبر أمورنا بدونهم .

– ولكن النيران . .

وتجهم وهو ينظر إلى أطراف الأغصان غير المحترقة ، والتى اكتست بخليط من اللون الأبيض واللون الأسود ، وحاول أن يعبر عن أفكاره ويضعها فى صيغة معينة .

– إننى أشعر بالخوف .

وشاهد « بيجى » وهو ينظر لأعلى نحوه ، فاستطرد فى ارتباك :

– لست خائفاً من الوحش . . أقصد أننى خائف من ذلك الأمر أيضاً ولكن لا أحد يدرك مدى أهمية النيران ، فلو أن أحداً ألقى لك بحبل أثناء تعرضك للغرق ، ولو أن طبيباً قال لك : تناول هذا الدواء لأنك إذا لم تتناوله ستتعرض للتموت – ألن تبادر إلى فعل ذلك ؟

– بالطبع سأبادر إلى فعل ذلك .

– ألا يدركون ؟ ألا يفهمون ؟ ألا يدركون أننا سنموت هنا على هذه الجزيرة إذا لم نشعل النيران ونطلق إشارة الدخان ؟ انظر إلى ذلك !

وكانت هناك موجة من الهواء المتقد بالسخونة ترتعش فوق الرماد ، ولكن بدون أى أثر للدخان .

– إننا لا نستطيع الإبقاء على النيران مشتعلة ، وهم لا يهتمون بالنيران ، وما هو أسوأ من ذلك . .

ونظر فى إمعان إلى وجه « بيجى » المتصبب عرقاً .

- والأكثر من ذلك - وهذا لا يخطر على بالى مطلقا - لنفرض أننى سرت على نهج الآخرين فيما يتعلق بعدم الاهتمام بالنيران ، فماذا سيحدث لنا عندئذ ؟

وخلع « بيجى » نظارته وهو يشعر بالقلق الشديد :

- لست أدرى يا « رالف » ، كل ما هنالك هو أنه ينبغى لنا ان نستمر على هذا النهج الذى نسلكه الآن ، وهذا هو كل ما فى الأمر ، وذلك هو ما يفعله الأولاد الكبار الراشدون .

وبعد أن بدأ « رالف » فى البوح بما يدور فى سريرته استطرد قائلاً :

- يا « بيجى » ، ما هو الخطأ فى ذلك ؟

فنظر « بيجى » إليه فى دهشة :

- هل تقصد الـ . .

- لا ، ليس هذا ، أقصد . . ما الذى يجعل الأمور تنهار على النحو الذى تنهار عليه الآن ؟

ومسح « بيجى » نظارته فى بطء وانهمك فى التفكير .

وعندما أدرك « بيجى » أن « رالف » بدأ يتقبله ويرتاح إليه إلى حد كبير احمر وجهه فى فخر واعتزاز .

- لست أدرى يا « رالف » ، وأعتقد أنه هو الذى تسبب فى انهيار الأوضاع .

- تقصد « جاك » ؟

- « جاك » لقد كان هناك « تابو » أو نوع من التحريم يدور أيضاً حول تلك الكلمة .

فأومأ « رالف » برأسه فى وقار وقال :

نعم ، لابد أن الأمر كذلك .

وانفجرت الغابة بالقرب فى زئير صاخب ، إذ كانت هناك أشكال شيطانية لها وجوه مطلية بألوان حمراء وخضراء . وبيضاء تندفع فى عواء وصراخ ، مما جعل الأطفال الصغار يهربون فى بكاء وصراخ ، وبزاوية من عينه شاهد « رالف » بيجى وهو ينطلق هارباً ، واندفع شخصان شيطانيان نحو النيران ، فاستعد « رالف » للدفاع عن نفسه ، ولكنهما انتزعا أغصاناً شبه محترقة وانطلقا بها على طول « البلاج » ووقف ثلاثة آخرون ساكنين وراحوا ينظرون إلى « رالف » وعرف « زالف » أن أطول شخص بينهم هو «جاك » ، وكان « جاك » متخشباً وعارياً ، فيما عدا الحزام وبعض الطلاء .

واستجمع « رالف » أنفاسه وتكلم :

- حسناً ؟

فتجاهله « جاك » ورفع حربته وبدأ فى الصياح :

- استمعوا إلى جميعاً . أنا والصيادون التابعون لى نعيش على « البلاج » عند صخرة منبسطة ، ونحن نقوم بالصيد وإعداد الولائم ونمرح فى سعادة ، فإذا أردتم الانضمام إلى قبيلتى فتعالوا وشاهدوا ما نقوم به ، فلربما سمحت لكم بالانضمام إلينا . . وقد لا أسمح لكم

وتوقف عن الكلام ونظر فيما حوله ، وكان فى مأمن من الخجل أو الشعور بالذات ؛ لأنه كان مستتراً خلف قناع الطلاء الذى وضعه على وجهه ، وكان باستطاعته النظر إليهم الواحد تلو الآخر . . وكان « رالف » راكعاً بجوار بقايا النيران ، مثل العداء الذى قطع مسافة جرياً ثم وقف عند العلامة الخاصة بنهاية المسافة ، وكان وجهه شبه متوارٍ وراء الشعر ووراء الهباب وحملق « سام » و « إريك » كل منهما فى الآخر بالقرب من شجرة نخيل عند حافة الغابة . وعوى طفل صغير كان مكتوماً فى تجعد ومحتقن الوجه بالقرب من بركة السباحة ، وكان « بيجى » واقفاً فوق الرصيف ، وقد أمسك بالمحارة بين يديه :

- الليلة سنقيم وليمة ، فقد تمكنا من ذبح خنزيرة ، وأصبح لدينا كميات وفيرة من اللحوم ، باستطاعتكم المجىء وتناول اللحوم معنا اذا رغبتم فى ذلك .

وانفجر الرعد مرة أخرى بين أخاديد السحب فى طبقات الجو العليا وتمايل « جاك » ومعه الشخصان المتوحشان المجهولا الهوية ، ونظروا لأعلى ، ثم استعادوا توازنهم . واستمر الطفل الصغير فى العواء ، وكان « جاك » منتظراً حدوث شىء ما . فهمس فى أذن الشخصين الآخرين لكى يستحثهما على التكلم :

- تكلما الآن .

فتمتم الشخصان المتوحشان . فقال لهما « جاك » فى حدة :

- تكلما الآن !

فنظر الشخصان المتوحشان كل منهما إلى صاحبه ورفعا رمحيهما فى آن واحد ، وتحدثا فى وقت واحد :

- لقد تكلم الزعيم .

وبعدئذ استدار ثلاثتهم وانطلقوا مهرولين بعيداً .

فنهض « رالف » واقفاً على قدميه على الفور وهو ينظر إلى المكان الذى اختفى فيه الأشخاص المتوحشون ، وجاء « سام » و « إريك » وهما يتحدثان فى همس ملىء بالرعب :

- لقد اعتقدتُ أن الأمر كان . .

- وأنا كنت خائفاً .

وكان « بيجى » واقفاً فوقهم على الرصيف وهو لا يزال يمسك بالمحارة .

وقال « رالف » :

- هؤلاء الأشخاص هم : « جاك » و « موريس » و « روبرت »

واستطرد :

- أليسوا مستغرقين فى اللهو والمرح ؟

- لقد اعتقدت أننى على وشك التعرض لنوبة من الربو .

- دعك من الربو الخاص بك .

- عندما شاهدت « جاك » اعتقدتُ أنه سيذهب ليأخذ المحارة ، ولست أدرى السبب فى هذا الاعتقاد .

ونظر الأولاد إلى المحارة البيضاء فى احترام مملوء بالمحبة والحنان . ووضع

بيجى » المحارة بين يدى « رالف » ، وعندما شاهد الأطفال الصغار ذلك الرمز المألوف لهم بدءوا يعودون قال :

– ليس هنا .

واستدار نحو الرصيف وهو يشعر بالحاجة إلى بعض الطقوس أو الشعائر تحرك « رالف » أولاً محتضناً المحارة . وتبعه « بيجى » فى وقار شديد ، وبعدئذ التوءمان ، ثم الأطفال الصغار والآخرون .

– تفضلوا بالجلوس جميعاً . لقد شنوا غارة علينا لكى يحصلوا على شىء من النيران . وهم الآن يلهون ويمرحون ، ولكن الـ . .

وشعر « رالف » بالحيرة والارتباك :

– ولكن الـ . .

وكانوا ينظرون إليه فى وقار شديد بدون أن تساورهم أية شكوك بشأن كفاءته . وأزاح « رالف » الشعر عن عينيه ونظر إلى « بيجى » .

– ولكن الـ . . أوه . . النيران ! النيران بالطبع !

وشرع فى الضحك ثم توقف وأصبح فصيح اللسان ، فتكلم فى تدفق وسلاسة .

– النيران هى أهم شىء على الأطلاق ، ولن تُنْقَذَ حياتنا بدون إشعال النيران ، ولقد كنت أود أن أضع طلاء الحرب على جسدى وأصبح متوحشاً ، ولكن ينبغى أن نحرص على استمرار النيران ، فالنيران هى أهم شىء على الإطلاق فى هذه الجزيرة . . لأنها . . لأنها . .

وتوقف عن الكلام مرة أخرى ، وأصبح الصمت مليئا بالشكوك

والتعجب، فهمس « بيجى » مستحثاً :

- لأنها هى المنقذ .

- أوه ! نعم . فبدون النيران لا نستطيع إنقاذ حياتنا ؛ لذلك ينبغى أن نبقى إلى جوار النيران ونطلق الدخان .

وعندما توقف لم يعلق أحد بأى كلام . . وبعد الخطب العديدة الرائعة التى سبق أن ألقاها « رالف » فى نفس هذا الموضوع بدت تعليقاته الأخيرة ضعيفة وركيكة وعرجاء حتى من وجهة نظر الأطفال الصغار . .

وأخيراً مد « بيل » يديه طالباً المحارة .

- لم نعد نستطيع الإبقاء على النيران مشتعلة هنالك ، حيث إننا بحاجة إلى المزيد من الناس حتى نتمكن من الإبقاء عليها مشتعلة ، وفى رأيى أن نذهب إلى الوليمة ونقول لهم إننا لا نستطيع وحدنا - وبدون اشتراكهم معنا - الإبقاء على النار مشتعلة . وبرغم أن أعمال الصيد من الأمور الوحشية فإنها تتضمن قدراً من اللهو والمرح .

وأمسك « سام » و « إريك » بالمحارة معاً .

- ذهابنا إليهم سيعود علينا بشىء من اللهو والمرح كما يقول « بيل » وبالإضافة إلى ذلك فهو قد وجه إلينا الدعوة .

- . . لحضور وليمة .

- . . اللحوم .

- . . قشرة لحم الخنزير المحمر .

- يكفينى قدر ضئيل من اللحوم .

فرفع « رالف » يده :

- ولماذا لا نحصل على اللحوم الخاصة بنا ؟

ونظر « التوءمان » أحدهما إلى الآخر وأجاب « بيل » :

- نحن لا نريد الذهاب إلى الغابة .

فكشر « رالف » فى ازدراء .

- إنه - كما تعرفون - يذهب إلى الغابة .

- لأنه صياد . وهم جميعاً صيادون ، وهذا هو الفارق . . وسيطر الصمت على الجميع للحظات ، وبعدئذ تمتم « بيجى » وهو ينظر إلى الرمال :

- اللحوم . .

وكان الأطفال الصغار جالسين ، وكانوا يفكرون فى اللحوم فى وقار كئيب فى حين كان لعابهم يسيل . ودوت مدافع الرعد فوقهم مرة أخرى . وتحرك سعف النخيل الجاف ، فنتج عن ذلك عصفة ريح فجائية ساخنة .

وقال سيد الذباب :

- أنت ولد صغير الجسم أحمق . . أنت لست سوى ولد صغير جاهل وأبله وأحمق .

وحرك « سيمون » لسانه المتورم ولم يقل شيئاً . فقال سيد الذباب :

- ألا توافق على كلامى هذا ؟ ألست مجرد ولد صغير أحمق ؟ فرد عليه «سيمون » بنفس الصوت الصامت :

وقال سيد « الذباب » :

– حسناً إذن . يحسن بك أن تفر هارباً ، لا تريد لـ « رالف » أن يعتقد أنك معتوه . أليس كذلك ؟ وأنت تشعر بالود نحو « رالف » أليس كذلك؟ وتشعر بالود نحو « بيجى » أليس كذلك ؟

وكان رأس « سيمون » مائلاً قليلاً لأعلى ، ولم تستطع عيناه الكف عن النظر إلى « سيد الذباب » . وكان « سيد الذباب » معلقاً فى مكان أمامه .

– ماذا تفعل هنا بمفردك ؟ ألست خائفاً منى ؟

واهتز « سيمون » فى قشعريرة :

– لا يوجد أى شخص هنا لكى يقدم لك العون والمساعدة . . لا يوجد سواى ، وأنا الوحش !

وتحرك فم « سيمون » فى تقلص فصدرت عنه بصعوبه كلمات مسموعة .

– رأس الخنزيرة معلق على العصا .

فقال الرأس :

– كنت تتخيل أن الوحش هو شىء ما يمكنك اصطياده وقتله ! . . ودوت للحظة أو لحظتين الغابة وجميع الأماكن الأخرى التى أدركت فى شىء من العتمة والغموض بالمحاكاة الساخرة المضحك . . لقد كنت تعرف . . ألم تكن تعرف أننى جزء منك ؟ قريب ، قريب ، قريب !

هل أنا السبب فى عدم الذهاب ؟ وهل أنا السبب فى أن الأمور تسير على ما هى عليه ؟ .

وضحك بارتعاش مرة أخرى .

وقال « سيد الذباب » :

– تعالَ الآن . ارجع إلى الآخرين ولسوف تنسى المسألة برمتها .

وتمايل « رأس سيمون » فى ارتعاد ، وكانت عيناه شبه مغلقتين ، وكما لو كان يقلد الشيء القذر المعلق على العصا . وكان يدرك أن إحدى الحالات الخاصة به آتية لا محالة ، وبدأ « سيد الذباب » يتمدد كالبالون .

– هذا أمر يدعو للسخرية والضحك . فأنت تدرك جيداً أنك ستقابلنى هنا فقط ؛ لذلك لا تحاول الهرب !

وكان جسد « سيمون » محدباً ومتخشباً ، وتحدث « سيد الذباب » بصوت ناظر المدرسة :

– لقد تم التمادى فى هذا الأمر أكثر من اللازم . وهل تعتقد يا طفلى المسكين المضلل أنك تعرف الأمور على نحو أفضل منى ؟

وكانت هناك فترة صمت :

– إننى أحذرك ، ولسوف يتصاعد الغضب فى داخلى . . هل تفهم ما أقوله لك ؟ أنت لست مطلوباً أو مطارداً . . أتفهمنى ؟ ولسوف نلهو بعض الشيء على هذه الجزيرة . . أتفهمنى ؟ سوف نلهو ونلعب بعض الشيء على هذه الجزيرة ؛ لذلك لا تجرب ذلك الأمر يا بنى يا مسكين يا مضلل وإلا . .

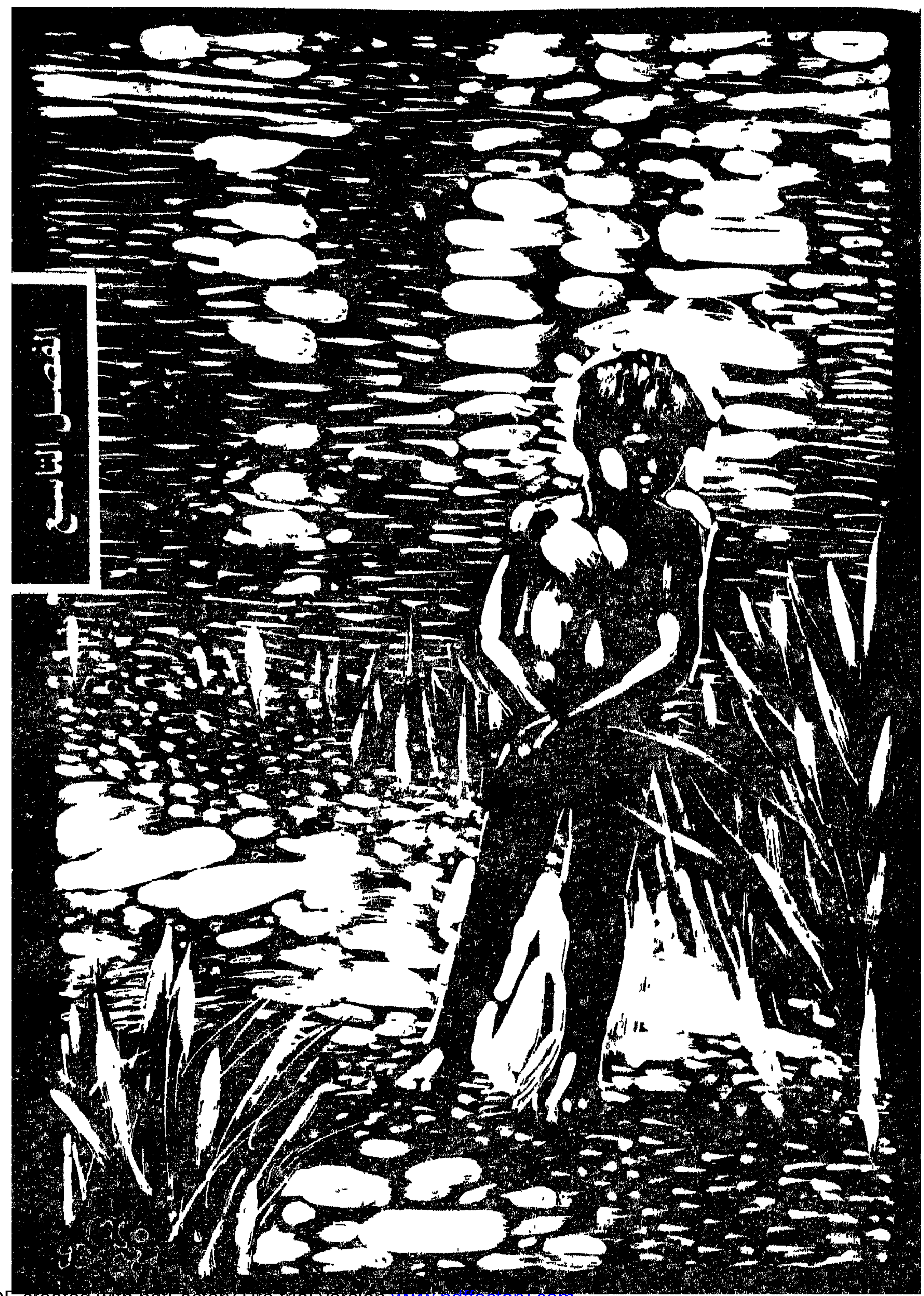
وأدرك « سيمون » أنه كان ينظر إلى داخل فم شاسع . وكان هناك سواد فى داخل الفم . سواد آخذ فى الاتساع .

وقال « سيد الذباب » :

- . . وإلا فسوف نحتال عليكم ونخدعكم . . أتفهمنى ؟

« جاك » و « روجر » و « موريس » و « بيل » و « بيجى » و « رالف » . . هل أنت . . تفهمنى ؟

وكان « سيمون » فى داخل الفم . . وسقط على الأرض فاقد الوعى .


الفصل السابع



مشهد الموت

واستمر تجمع السحب فوق الجزيرة، وتصاعد تيار ثابت من الهواء الساخن طوال اليوم من الجبل حيث كان يتدفق لأعلى لمسافة عشرة آلاف قدم ، وكومت كتل الغاز الدوارة التأثيرات الجوية الكهربائية إلى أن أصبح الهواء على وشك الانفجار . وكانت الشمس قد توارت فى الفترات الأولى من السماء ، فحل محل ضوء النهار الساطع توهج نحاسى اللون ، وحتى الهواء الذى تدفق آتياً من جهة البحر والأشجار والأسطح الوردية للصخور ، ولم يزدهر أى شىء ، باستثناء الذباب الذى سود ولوث سيده ، وجعل هبات الريح الفجائية المتدفقة شبيهة بكومة متوهجة من الفحم . وحتى عندما انقطع الشريان فى داخل أنف « سيمون » وتدفقت الدماء فإن الذباب تركه وشأنه وفضل عليه الطعام الممتاز للخنزيرة .

ومع تدفق الدماء انتقلت النوبة التى مر بها « سيمون » إلى رحلة الإعياء والنوم ، فرقد فوق حصيرة من النباتات المتسلقة حين كان المساء يتقدم وكان المدفع لا يزال مستمراً فى لعبه ، واستيقظ أخيراً وشاهد فى غير وضوح التراب المعتم قريباً من خده ، فلم يتحرك وظل راقداً هناك ، وكان وجهه فى وضع جانبى على التراب ، وكانت عيناه تنظران أمامه فى نوع من التبلد . وبعدئذ انقلب على وجهه وجذب قدميه تحته ، وأمسك بالنباتات المتسلقة لكى

يجذب نفسه لاعلى ، وعندما اهتزت النباتات المتسلقة تفجر الذباب مر
الأمعاء فى نغمة شريرة ، ثم أصبح أكثر صرامة وإصراراً مرة أخرى ، ونهض
« سيمون » واقفاً على قدميه ، وكان الضوء غيرَ دنيوى ، وغريباً ، وخارة
للطبيعة . وكان « سيد الذباب » متشبثاً فوق عصاه مثل كرة سوداء .

وتكلم « سيمون » بصوت مرتفع موجهاً كلامه للأرض الفضا
المكشوفة .

– هل هناك شيء آخر أفعله ؟

ولم يتلق أى رد ، فاستدار مبتعداً عن المكان المكشوف ، وزحف بير
النباتات المتسلقة إلى أن أصبح بين ظلمة الغابة المعتمة ، فسار فى وحشة
واكتئاب بين جذوع الأشجار ، وكان وجهه خالياً من التعبير ، وكانت
الدماء قد تجمدت حول ذقنه وفمه ، ولكنه من وقت لآخر – عندما كان
يرفع أحبال النباتات المتسلقة ويلقيها على جانب لكى يختار اتجاهه من بير
الاتجاهات المختلفة فوق الأرض – فإنه كان ينطق بكلمات لا تصل إلى الهوا
على الإطلاق .

وسرعان ما بدأت النباتات المتسلقة تنحسر قليلاً عن الأشجار من مكان
لآخر ، فظهرت كميات ضئيلة من اللون اللؤلئى تناثرت من السماء وهبطت
متخللة الأشجار . وكان هذا المكان هو العمود الفقرى للجزيرة ، فهو
بمثابة الأرض المرتفعة قليلاً ، والتى ترقد تحت الجبل ، والتى تتخللها أشجار
كثيفة ، على عكس ما هو عليه الحال فى أعماق الغابة . فهناك كانت توجد
فراغات واسعة تنتشر عليها هنا وهناك أجمات وأدغال وأشجار ضخمة .
وقاده اتجاه الأرض إلى الصعود لأعلى ، مع انحسار الأشجار ، وظهور

المساحات المكشوفة ، وواصل سيره مترنحاً من وقت لآخر بسبب الإعياء ، إلا أنه لم يتوقف على الإطلاق ، واختفى اللمعان العادى من عينيه ، وكان يسير فى نوع من التصميم الكئيب مثل رجل عجوز .

وهبت نفحة من الريح جعلته يترنح ، وأدرك أنه قد خرج تماماً إلى المكان المكشوف فوق الصخر تحت سماء نحاسية صفراء ، واكتشف أن ساقيه ضعيفتان ، وأن لسانه يؤلمه طوال الوقت . وعندما وصلت الرياح إلى قمة الجبل تمكن من مشاهدة شىء ما : رفرفة نسيج أزرق فى مواجهة سُحُب بنية اللون . وذفع نفسه لمواصلة السير للأمام ، وهبت الريح مرة أخرى فى مزيد من القوة فى هذه المرة ، فصفعت أعالى الأشجار بالغابة إلى أن انحنت فى زئير . وشاهد « سيمون » فجأة شيئاً محدبا يجلس فوق القمة وينظر لأسفل نحوه ، فأخفى وجهه وواصل تقدمه .

وكان الذباب قد عثر على هذا الهيكل أيضاً ، وكانت حركاته التى تشبه حركات الكائن الحى تثير خوف الذباب وتبعده للحظات ، بحيث كان يشكل سحابة سوداء حول رأس الهيكل . وبعدئذ عندما تداعت المادة الزرقاء للمظلة « الباراشوت » انحنى الهيكل البدين للأمام فى تنهد ، فاستقر علي الذباب مرة أخرى .

وشعر « سيمون » بركبتيه ترتطمان فى الصخور فزحف للأمام ، وسرعان ما فهم الموقف ، وعرف من تشابك الخطوط ميكانيكيات هذا التقليد الساخر المثير للضحك .

فراح يفحص العظام الأنفية البيضاء ، والأسنان ، وألوان التحلل والفساد ، وأدرك كيف أن طبقات من المطاط والقماش كانت تمسك فى غير

رحمة بالجسد المسكين الذى تعرض حتماً للتعفن والتحلل ، وبعدئذ هبت الريح مرة أخرى ، فارتفع الهيكل لأعلى وانحنى ، ونفث قذراة منفرة نحوه ، فركع « سيمون » على يديه ورجليه وراح يتقيأ إلى أن أفرغ كل ما فى بطنه ، وبعدئذ أمسك الخطوط فى يديه وحررها من الصخور ، وحرر الهيكل من إذلال الرياح .

وأخيراً استدار مبتعداً ، ونظر لأسفل نحو « البلاجات » وبدت النيران عند الرصيف كأنها قد انطفأت أو كأنها لا تنفث أى دخان على الأقل وإلى مسافة أبعد على البلاج ، وإلى ما وراء النهر الصغير ، وبالقرب من الكتلة الصخرية الصلبة المكعبة كان هناك شريط رفيع من الدخان آخذ فى التصاعد إلى عنان السماء . وحجب « سيمون » عينيه بكلتا يديه -- وقد نسى تماماً الذباب – وحملق فى الدخان . وبرغم بُعد المسافة فإنه تمكن من مشاهدة معظم الأولاد هناك ، وربما كانوا جميعاً هناك ، ومعنى هذا أنهم قد نقلوا المعسكر إلى مكان بعيد عن الوحش ، وبينما كان « سيمون » يفكر فى ذلك الأمر التفت نحو ذلك الهيكل المسكين المحطم الذى يجلس إلى جواره نافثا حوله الروائح الكريهة . لقد كان الوحش مريعا وعديم الضرر وينبغى أن تصل هذه الأنباء إلى الآخرين فى أسرع وقت ممكن ، فبدأ فى الهبوط من فوق الجبل ، وكانت ساقاه تنثنيان تحته ، وبرغم حرصه الشديد فإنه كان يتعثر ويتمايل ويترنح .

وقال « رالف » :

- الاستحمام هو الشيء الوحيد الذى يمكن أن نفعله . وكان « بيجى » يفحص السماء المخيفة الواضحة من خلال نظارته التى تضم عدسة واحدة .

– إننى لا أحب تلك السحب . أتذكر كيف كانت الأمطار رهيبة عقب رسونا على هذه الجزيرة ؟

– ولسوف تمطر مرة أخرى .

وغطس « رالف » فى بركة السباحة . وكان هناك اثنان من الأطفال الصغار يلعبان عند الحافة ويحاولان التماس الراحة من البلل الذى هو أشد سخونة من الدماء . وخلع « بيجى » نظارته وخَطَا قليلا فى الماء ، ثم وضع نظارته على وجهه مرة أخرى ، وطَفَا « رالف » فوق سطح الماء ونفث نافورة من الماء على « بيجى » .

فقال « بيجى » :

– احترس لكيلا يصل الماء إلى نظارتى ، فإذا ابتلت نظارتى بالماء فسأضطر للخروج من الماء لتنظيفها .

فنفث « رالف » الماء على « بيجى » مرة أخرى ، لكن الماء لم يصل إليه ، وضحك ساخراً من « بيجى » ، وكان يتوقع منه أن يخرج من الماء وصاغرًا متألماً كالمعتاد ، ولكن« بيجى » بدلا من ذلك راح يضرب فى الماء بيديه .

وصرخ :

– توقف عن هذا . كف عن هذا ، أتسمعنى ؟

وألقى بالماء فى غضب على وجه « رالف » .

وقال « رالف » :

– وهو كذلك . وهو كذلك . عليك بالصبر قليلاً ، وسترى . . !

وتوقف « بيجى » عن الضرب فى الماء .

– إننى أشعر بآلام فى رأسى . كنت أود أن يكون الهواء أكثر لطفاً وبرودة .

– أود أن تتساقط الأمطار .

– أود أن نعود إلى بلادنا .

واستلقى « بيجى » على ظهره فوق الجانب الرملى المنحدر للبركة ، وبرز كرشه قليلاً لأعلى ، وجفت الرمال فوقه . ونفث « رالف » الماء لأعلى نحو السماء . وكان باستطاعة المرء أن يخمن حركة الشمس من خلال تقدم رقعة من الضوء بين السحب ، وركع فى الماء ونظر فيما حوله .

– أين الناس جميعاً ؟

فاعتدل « بيجى » وجلس :

– ربما يكونون مستلقين فى الكوخ .

– وأين « سام » و « إريك » ؟

– وأين « بيل » ؟

وأشار « بيجى » إلى ما وراء الرصيف :

– ذلك هو المكان الذى ذهبوا إليه ، فقد ذهبوا إلى الحفلة التى يقيمها «جاك » .

فقال « رالف » فى قلق :

– دعهم يذهبون ، فهذا لا يعنينى فى شىء ؟

– من أجل الحصول على قدْر من اللحوم . .

فقال « رالف » فى وقار :

– ومن أجل الصيد ، ومن أجل التظاهر بأنهم قبيلة واحدة ، ووضع طلاء الحرب على أجسامهم .

وحرك « بيجى » الرمال تحت الماء ولم ينظر إلى « رالف » :

– ربما ينبغى لنا الذهاب أيضاً .

فنظر إليه « رالف » نظرة خاطفة ، وتدفقت الدماء فى وجه « بيجى » خجلا :

– أقصد . . لكى نضمن عدم حدوث شىء .

ونفث « رالف » الماء مرة أخرى .

وقبل أن ينضم « رالف » و « بيجى » إلى مجموعة الأشخاص التابعين لـ « جاك » بوقت طويل كان باستطاعتهما سماع الحفلة . وكانت هناك مساحة عشبية فى المكان الذى تركت فيه أشجار النخيل شريطاً عريضاً من المروج بين الغابة والشاطىء . وعلى مسافة خطوة واحدة لأسفل من حافة المروج كانت توجد الرمال البيضاء التى ألقت بها المياه العالية ، وهى رمال دافئة وجافة وثابتة من كثرة ما وَطِئَهَا من أقدام . وأسفل هذا كانت توجد صخرة ممتدة لمسافة بعيدة نحو « اللاجون » . وإلى ما وراء هذا كان يوجد امتداد قصير من الرمال ، وبعد ذلك توجد حافة الماء ، وكانت هناك نيران مشتعلة فوق الصخر ، وكانت الدهون والشحوم تقطر من لحوم الخنزيرة التى يجرى تحميرها ، وتتساقط القطرات نحو ألسنة اللهب غير المرئية ، وكان جميع الأولاد بالجزيرة باستثناء « بيجى » و « رالف » و « سيمون » وشخصين

يشرفان على أعمال الشواء - متجمعين فوق المروج . وكانوا يضحكون وينشدون ويرقدون ويجلسون القرفصاء ، أو يقفون فوق العشب وهم ممسكون بالطعام فى أيديهم ، ولكن وجوههم الملوثة بالدهون كانت تدل على أنهم قد انتهو من تناول اللحوم ، وكان بعضهم ممسكاً بقرعات جوز الهند فى أيديهم ، وكانوا يشربون الماء منها . وقبل أن تبدأ الحفلة تم دحرجة كتلة خشبية هائلة فى وسط المساحة العشبية ، وجلس عليها « جاك » مثل إله زائف ، وكان جسده مدهوناً بالطلاء ومزداناً بأكاليل الزهور . وكانت هناك كومات من اللحوم موضوعة على أوراق خضراء بالقرب منه ، بالإضافة إلى كومات من الفاكهة ، وكميات من قرعات جوز الهند المملوءة بمياه الشرب .

ووصل « رالف » و « بيجى » إلى حافة الرصيف العشبى ، وما إن شاهدهما الأولاد حتى لاذوا بالصمت الواحد تلو الآخر إلى أن أصبح الولد الوحيد المجاور مباشرة لـ « جاك » هو الذى ظل يتكلم ، وبعدئذ امتد الصمت إلى ذلك الولد أيضاً ، والتفت « جاك » وهو جالس فى مكانه وظل « جاك » ينظر إليهما لبعض الوقت ، وكان صوت خشخشة النيران هو الصوت العالى الذى يفوق دندنة سلسلة الصخور القريبة من سطح الماء ، وأشاح « رالف » بوجهه بعيداً ، واعتقد سام أن « رالف » قد استدار نحوه متهماً إياه ، فوضع العظمة التى يقضم فيها على الأرض ، وضحك بصوت مرتفع كله عصبية . وسار « رالف » خطوة واحدة فى تردد وأشار إلى شجرة نخيل ، وهمس بكلام غير مسموع لـ « بيجى » ثم ضحكا معاً بصوت مرتفع مثل سام . ورفع « رالف » قدميه عالياً من الرمال ، وبدأ يتجول مبتعداً قليلاً عن هذا المكان ، وحاول « بيجى » إطلاق صفارة من فمه .

وفى نفس هذه اللحظة جذب الأولاد الذين يقومون بالطهى عند النيران

جزءاً كبيراً من اللحوم وجروا بها نحو العشب . وارتطموا فى « بيجى » فلسعته سخونة اللحوم ، فراح يولول ويرقص ، وعلى الفور أصبح « رالف » وجمهرة الأولاد متحدين ، واجتاحتهم جميعاً عاصفة من الضحك ، فأزاحت عنهم جميعاً مشاعر التوتر ، وأصبح « بيجى » مرة أخرى مركزاً للسخرية الاجتماعية ، حتى إن شخصاً شعر بالبهجة وعدم التوتر .

ونهض « جاك » واقفاً ولوح برمحه :

– أعطوهما بعض اللحوم .

فقام الأولاد الذين يمسكون العصا التى تعلق عليها اللحوم بإعطاء كل من « رالف » و « بيجى » قطعة كبيرة من اللحوم الحمراء ، فتقبلا الهدية واللعاب يسيل منهما ؛ لذلك وقفا وأكلا تحت سماء رعدية فى لون النحاس الأصفر ، حيث أخذت تدوى مع هبوب العاصفة .

ولوح « جاك » برمحه مرة أخرى :

– هل أخذ كل شخص كفايته من اللحوم وشبع تماماً ؟

وكانت هناك كميات متبقية من اللحوم ، حيث كانت تئز بالدهون فوق السفودات الخشبية التى تشبه الأسياخ الحديدية ، وكانت مكومة فوق الأوراق الكبيرة التى تشبه الأطباق . وشعر « بيجى » أن معدته قد خدعته ، فألقى بعظمة منزوعة اللحوم تماماً لأسفل على البلاج ، وانحنى للحصول على المزيد من اللحوم .

فتكلم « جاك » مرة أخرى فى شىء من نفاد الصبر :

– هل أخذ كل شخص كفايته من اللحوم ؟

وكانت لهجة صوته تدل على التحذير ، وعلى إحساس بالفخر ، والشعور بالملكية ، فراح الأولاد يسرعون فى التهام الطعام ، حيث كان لايزال هناك بعض الوقت ، وعندما أدرك « جاك » أنه لا يوجد أمل فى توقفهم عن التهام الطعام على الفور فإنه نهض من فوق الكتلة الخشبية التى هى بمثابة عرشه وسار الهوينى نحو حافة العشب . ونظر لأسفل - من وراء الطلاء الموجود على جسده - نحو « رالف » و « بيجى » ، فابتعدا عنه قليلاً وسارا على الرمال ، وراح « رالف » يرقب النيران أثناء التهامه الطعام . ولاحظ - بدون فهم - أن ألسنة اللهب كانت واضحة ومرئية تماماً آنئذ فى مواجهة الضوء المعتم . وجاء المساء غير مصحوب بالجمال الهادىء ، وإنما كان مليئاً بالتهديد بالعنف .

وتكلم « جاك » :

- ناولنى قرعة مليئة بالماء .

فأحضر له « هنرى » قرعة جوز هند مليئة بالماء ، فشرب « جاك » وهو يرقب « بيجى » و « رالف » من فوق الحافة الخشنة للقرعة . وكانت القوة تكمن فى ذراعيه وساعديه المنتفختين ، وكانت السلطة تجلس فوق كتفه وتثرثر فى أذنه مثل القرد :

- اجلسوا جميعاً .

فنظم الأولاد أنفسهم فى صفوف فوق العشب أمامه ، ولكن « رالف » و«بيجى » ظلا واقفين فوق الرمال الناعمة فى مكان منخفض بحوالى قدم عن الآخرين ، فتجاهلهما « جاك » مؤقتاً ، وأنزل القناع عن وجهه أمام الأولاد الجالسين ، وأشار نحوهم برمحه :

– من منكم يرغب فى الانضمام لقبيلتى ؟

فقام « رالف » بحركة فجائية أصبحت عثرة . فالتفت بعض الأولاد نحوه .

قال « جاك » :

– لقد قدمت لكم الطعام . . وسيقوم الصيادون التابعون لى بحمايتكم من الوحش . . فمن منكم سينضم إلى قبيلتى ؟

فقال « رالف » :

– أنا الرئيس ؛ لأنك اخترتنى رئيساً ، وكنا سنحرص على استمرار اشتعال النيران ، ولكنكُ الآن تجرى وراء الطعام .

فصاح « جاك » :

– وأنت نفسك جريت وراء الطعام . . انظر إلى العظمة الموجودة فى يديك !

فتصاعد اللون القرمزى إلى وجه « رالف » .

– لقد قلت إنكم صيادون ، والصيد كان هو كل اهتمامكم .

فتجاهله « جاك » مرة أخرى .

– من منكم سينضم إلى قبيلتى ويستمتع باللهو والمرح ؟

فقال « رالف » فى تهيب وارتجاف . . أنا الرئيس . . وماذا عن النيران ؟ وأنا قد أحضرت المحارة .

فقال « جاك » ساخراً :

- أنت لا تمسك بالمحارة الآن ، فقد تركتها وراءك ، ألا ترى جيداً ؟ كما أن المحارة ليست لها أهمية هنا فى هذا المكان الذى يقع فى طرف الجزيرة .

ودوى الرعد فجأة ، وبدلا من الدوى المتبلد كانت هناك نقطة تصادم فى الانفجار .

وقال « رالف » :

- المحارة يعتد بها هنا أيضاً وفى جميع أرجاء الجزيرة .

- وما الذى ستفعله إزاءها ؟

فأخذ « رالف » يتفحص صفوف الأولاد ، وأحس أنه لا فائدة من ورائهم ، فأشاح بوجهه بعيداً وقد اعتراه الارتباك وبدأ العرق يتصبب منه . . فهمس « بيجى » :

- النيران . . ينبغى إنقاذها .

- من منكم سينضم إلى قبيلتى ؟

- سأنضم أنا .

- وأنا .

- وأنا سأنضم .

فقال « رالف » لاهث الأنفاس :

- سوف أنفخ فى المحارة للدعوة إلى عقد اجتماع .

- لن نسمع النداء .

- لمس « بيجى » معصم « رالف » .

– هيا بنا ننصرف ، فالمتاعب على وشك الظهور ، ونحن قد انتهينا من تناول اللحوم .

وكان هناك وميض من الضوء الساطع فيما وراء الغابة . . وتفجر الرعد مرة أخرى فى عنف ، حتى إن أحد الأطفال الصغار شرع فى الانتحاب والبكاء والأنين ، وتساقطت قطرات كبيرة من الماء بينهم محدثة أصواتاً لدى ارتطامها بالأرض .

فقال « رالف » :

– ستهب عاصفة رعدية ، ولسوف يهبط المطر بغزازة مثلما حدث عندما أسقطنا فى هذا المكان لأول مرة ، فمن هو الشخص الذكى الماهر الآن ؟ أين هى الأكواخ الخاصة بكم ؟ وماذا ستفعلون إزاء هذا الأمر ؟

وكان الصيادون ينظرون فى قلق نحو السماء ويجفلون وينكمشون بسبب ضربات قطرات الماء ، واجتاحت الأولاد موجة من القلق ، فراحوا يتمايلون ويتحركون ويسيرون بدون هدف ، وأصبح الضوء المرفرف أكثر توهجاً كما أصبحت ضربات الرعد أكثر عنفاً ، وبدا الأطفال الصغار يجرون هنا وهناك وهم يصرخون ويبكون .

وقفز « جاك » هابطاً على الرمال :

– هيا نرقص رقصاتنا ، وهيا أقبلوا ، وهيا نرقص !

وجرى وهو يتعثر فى الرمال الكثيفة ، واتجه نحو الصخور المكشوفة التى تقع إلى ما وراء النيران . . وما بين ومضات البرق كان الليل مظلماً ومخيفاً ومريعاً ، وتبعه الأولاد فى ضجيج صاخب ، وأصبح « روجر » هو الخنزير وراح يشخر وينخر ويهاجم « جاك » الذى قفز جانباً مبتعداً . وأخذ

الصيادون حرابهم ، وأخذ الطهاة سفوداتهم ، وأخذ الآخرون عِصِيًّا من أخشاب النيران ، ونشأت حركة دائرية ، وتصاعد الإنشاد والغناء ، وبينهما كان « روجر » يقلد الرعب الذى اجتاح الخنزيرة ، كان الأطفال الصغار يجرون ويقفزون ناحية الجانب الخارجى من الدائرة . وتحت تهديدات السماء وجد « بيجى » و « رالف » نفسيهما متلهفين لأخذ مكان فى هذا المجتمع المثير الذى يتسم بأنه يوحى بالأمن والأمان نسبياً ، وشعرا بالبهجة عندما قاما بلمس الظهور البنية اللون للسور الذى كان يطوق الرعب ويتحكم فيه .

- اقتلوا الوحش ! وشقوا رقبته ! واسفكوا دماءه !

وأصبحت الحركة منتظمة ، فى حين فقدت الأغنية بهجتها الأولى الظاهرية وأصبحت شبيهة بإيقاع الفيض الثابت . وتوقف « روجر » عن تمثيل دور الخنزيرة حيث قام بتمثيل دور الصياد ، حتى إن منتصف الحلقة أصبح مثل الفراغ المتثائب . وبدأ بعض الأطفال الصغار ينظمون حلقة خاصة . وأخذت الحلقات التكميلية تدور وتدور كما لو كان التكرار سيحقق الأمن والأمان ، وكان هناك النبض والخفقان ، والطابع المميز الذى يتميز به أحد الكائنات الحية .

وكانت السماء الداكنة تقسمها ندبة زرقاء - بيضاء ، وبعد لحظات هبط الصوت عليهم مثل ضربة سوط عملاق ، فظهرت على الأغنية نغمة تدل على الآلام والصراخ العنيف .

- اقتلوا الوحش ! اقطعوا رقبته ! اسفكوا دماءه !

ومرة أخرى شقت الندبة الزرقاء - البيضاء السماء فوقهم ، فدوى

الانفجار الكبريتى ، فصرخ الأطفال الصغار ، وتخبطوا فى ارتباك هنا وهناك وهم يفرون بعيداً عند حافة الغابة . . ودخل أحد الأطفال الصغار إلى حلقة الأولاد الكبار بسبب ذعره الشديد ، وقال :

- الوحش ! الوحش !

وأصبحت الدائرة على شكل حدوة حصان ، وكان هناك شىء ما يزحف خارجاً من الغابة ، وكان مكفهراً وغامضاً ، وتصاعدت الصرخات الحادة الثاقبة أمام الوحش ، وكانت الصرخات تشبه الآلام المبرحة ، فتعثر الوحش فى داخل حدوة الحصان .

- اقتلوا الوحش ! اقطعوا رقبته ! اسفكوا دماءه

وكانت الندبة الزرقاء - البيضاء مطردة ومتواصلة ، وكان الضجيج الجنونى شديداً بحيث لا يستطيع أحد أن يتحمله ، وكان « سيمون » يصرخ بأعلى صوته ببعض الكلمات عن وجود رجل ميت فوق أحد التلال .

- اقتلوا الوحش ! اقطعوا رقبته ! اسفكوا دماءه ! أَجْهِزُوا عليه ! أجهزوا عليه فى داخل الحلقة !

فانهالت العِصى ، وبدأ فم الدائرة الجديدة فى المضغ بأسنانه والصراخ . وتهاوى الوحش على ركبتيه فى وسط الحلقة ، وكانت يداه مطويتين فوق رأسه وكان يصرخ ويحتج فى عنف على ذلك الضجيج البغيض الجنونى ، وينبههم بكلمات غير مسموعة بسبب الضجيج عن وجود جثة فوق التل . وكافح الوحش متقدماً للأمام ، وكسر الحلقة المحدقة به ، وسقط فوق حافة الصخرة الشديدة الانحدار ، وتدحرج إلى الرمال القريبة من الماء ، فاندفع الأولاد كالطوفان وراءه وهبطوا كالسيل الجارف على المنحدر الصخرى

وجثموا على الوحش وهم يصرخون ويضربونه بالعصى ، ويعضونه بأسنانهم، ويمزقون جسده ، ولم يكن هناك أى كلام ولا أى حركات ، ولا شيء سوى التمزيق بالأسنان والمخالب .

وبعدئذ انشقت السحب وسقطت الأمطار مدراراً كأنها شلالات . وتدفقت المياه من فوق قمة الجبل ، ومزقت أوراق وأغصان الأشجار وانصبت مثل الدش البارد فوق الكومة التى تكافح فى استماتة فوق الرمال ، وكان الوحش هو الشيء الوحيد الذى يرقد ساكناً على مسافة ياردات قليلة من مياه البحر ، وحتى أثناء المطر كان باستطاعتهم أن يدركوا أن الوحش كان ضئيلا للغاية ، وأن دماء قد بدأت تتدفق بالفعل وتلوث الرمال .

وبعد لحظات هبت رياح شديدة جعلت الأمطار تنحرف فى اتجاه جانبى، وجعلت المياه تسقط كالشلال من فوق أشجار الغابة . وفوق قمة الجبل امتلأت المظلة « الباراشوت » وتحرك وانزلق الهيكل ، ونهض على قدميه ، ولف ودار وتمايل لأسفل خلال مساحة شاسعة من الهواء المبلل ، وخطا بأقدام خرقاء فوق قمم الأشجار العالية ، وبدأ يسقط من عليائه ويتداعى إلى أن غاص بالقرب من « البلاج » فاندفع الأولاد يصرخون تحت جنح الظلام . ونقل « الباراشوت » الهيكل للأمام وألقى به فى عنف فوق سلسلة الصخور القريبة من سطح الماء ، ثم ألقى به إلى البحر .

وفى حوالى منتصف الليل توقف المطر ، وانجرفت السحب بعيداً ، حتى إن السماء أصبحت مرصعة مرة أخرى بمصابيح النجوم العظيمة ، وبعدئذ تلاشى النسيم أيضاً ، ولم تعد توجد هناك أية أصوات ، إلا صوت قطرات الماء التى كانت تنساب من الشقوق ، وتتساقط من الأوراق ، ورقة وراء ورقة

إلى التربة البنية اللون بالجزيرة . وكان الهواء بارداً ومشبعاً بالرطوبة وصافياً . وسرعان ما أصبحت أصوات تساقط الماء ساكنة أيضاً ، وكان الوحش يرقد مكتوماً ومتكوراً فوق « البلاج » الشاحب ، وكانت البقع تنتشر بوصة وراء بوصة .

وأصبحت حافة « اللاجون » شريطاً فوسفورياً متألقاً ، وكان هذا الشريط يتقدم دقيقة وراء دقيقة مع تدفق الموجة الهائلة للمد والجزر . وانعكست السماء الصافية – وكذلك مجموعة النجوم الثابتة البراقة الضامرة – على صفحة مياه البحر الصافية . وكان الشريط الفوسفورى يزداد وضوحاً فوق حبات الرمل والحصى الصغير ، حيث كان يمسك كل حبة رمل أو حصى فى غمرة من التوتر ، وبعدئذ كان يقبلها فى مقطع ، كَلُغَةٍ خافتة غير مسموعة ، وبعدئذ سار قدماً للأمام .

وعلى طول حافة الشاطىء بالأماكن الضحلة ، كان الصفاء الآخذ فى التقدم ممتلئاً بمخلوقات عجيبة ، لها عيون نارية وأجساد من شعاع القمر . . وهنا وهناك كانت توجد حصاة كبيرة متشبثة بالهواء الخاص بها ومغطاة بمعطف من الآلىء ، وغطى المد والجزر الرمال المملوءة بالحفر والثقوب الناجمة عن الأمطار ، ومهد كل شىء ، ووضع عليه طبقة فضية ناعمة ولامس آنئذ أول البقع التى كانت تنز وتتسرب من الجسد المحطم ، وصدرت عن الكائنات رقعة متحركة من الضوء لدى تجمعها عند الحافة . وارتفعت المياه لمسافة أبعد ، وكست شعر « سيمون » الخشن بالبريق واللمعان ، وتألق خط وجنته بلون فضى ، وأصبحت استدارة كتفه مثل الرخام المنحوت ، وراحت الكائنات الغريبة التى تشهد الموقف بعيونها النارية تشغل نفسها حول رأسه وارتفع الجسد بمقدار جزء من البوصة من الرمال ، فتصاعدت

فقاقيع فى الهواء من الفم فى صوت يشبه « البقللة » ، وبعدئذ استدار فى رفق منجرفاً إلى الماء .

وفى مكان ما فوق المنحنى المظلم للعالم كانت الشمس والقمر يجذبان ، وكان ضباب الماء فوق الكوكب الأرضى مقيداً ومحتبساً ، وكان ينفتح قليلاً على جانب واحد ، فى حين انعطف الجزء المركزى المصمت ، وتحركت الموجة الهائلة للمد والجزر لمسافة أبعد على طول الجزيرة ، وارتفعت المياه ، وانسابت جثة « سيمون » نحو البحر المفتوح فى خفة وسلاسة ، وقد أحاطت بها أهداب إضافية من الكائنات الناصعة الفضولية . وكانت جثة « سيمون » تتخذ الشكل الفضى أسفل مجموعات النجوم الراسخة .



الفصل العاشر



الصدفة والنظارة

حملق « بيجى » فى الهيكل المتقدم وأخذ يمعن النظر فى دقة واهتمام . وكان قد اكتشف فى الآونة الأخيرة أنه يرى فى بعض الأحيان فى مزيد من الوضوح إذا خلع نظارته ونقل العدسة الوحيدة إلى العين الأخرى، ولكن حتى من خلال العين الجيدة ظل « رالف » هو « رالف » على نحو لا يدعو للخلط أو الخطأ عقبَ الأصوات التى حدثت ، فقد خرج فى تلك الآونة من بين أشجار جوز الهند وهو يعرج على قدميه ، وكان متسخاً وقذرًا ، وكانت الأوراق الجافة الميتة تتدلى من كتلة كثة من شعره الأصفر اللون . وكانت إحدى عينية تبدو مثل شق طولى على خده المنتفخ ، وكانت قشرة هائلة من الدماء قد تكونت على ركبته اليمنى ، وتوقف للحظات وراح يحملق فى الهيكل الموجود على الرصيف .

– بيجى ؟ هل أنت الشخص الوحيد المتبقى هنا ؟

– يوجد بعض الأطفال الصغار .

– لا فائدة ترجى من وراء الأطفال الصغار ، ألا يوجد أولاد كبار ؟ .

– أوه ! يوجد « سام » و« إريك » ، وهما يقومان الآن بجمع الأخشاب .

- ألا يوجد أى أشخاص كبار غيرهما ؟

- لا أعرف .

وتسلق « رالف » صاعداً إلى الرصيف فى حرص وحذر . وكان العشب الخشن مازال بالياً فى الأماكن التى إعتاد أن يجلس عليها الأولاد أثناء عقد الاجتماعات ، وكانت المحارة الرقيقة البيضاء مازالت تلمع وتتلألأ بجسمها المصقول اللامع ، وجلس « رالف » على العشب وراح ينظر فى إعجاب إلى مقعد الرياسة وإلى المحارة . وركع « بيجى » على يساره واستمر الصمت بينهما لحظات طويلة .

وأخيراً سلك « رالف » صوته وهمس ببعض الكلام . فرد علية « بيجى » هامساً :

- ماذا تقول ؟

فتكلم « رالف » بصوت واضح مرتفع :

- « سيمون » :

ولم يقل « بيجى » أى تعليق واكتفى بالإيماء برأسه فى وقار . . واستمرا فى جلستهما وهما يحملقان بنظرات أصابها الضعف والوهن فى مقعد الرياسة، وفى اللاجون المتلألىء ، وكان الضوء الأخضر والمساحات الهائلة من ضوء الشمس ينسابان فوق جسديهما الملونين المتسخين .

وأخيراً نهض « رالف » واقفاً وذهب إلى المحارة ، وأمسك بالصدفة وراح يربت عليها بكلتا يديه ، وركع مستنداً على جذع الشجرة وقال :

- بيجى ؟

– أوه !

– ماذا سنفعل ؟

– وأومأ بيجى برأسه للمحارة .

– باستطاعتك أن . .

– أن أدعو إلى عقد اجتماع ؟

وضحك« رالف » فى حدة عندما قال ذلك الكلام ، فتجهم بيجى :

– أنت مازلت رئيساً .

فضحك « رالف » مرة أخرى .

– أنت فوقنا جميعاً .

– المحارة معى .

– يا « رالف » كُف عن الضحك على ذلك النحو وانتبه إلى . ليس هناك داعٍ لذلك يا « رالف » ، فماذا سيظن الآخرون ؟

وأخيراً توقف « رالف » وكانت فرائصه ترتعد :

– بيجى .

– نعم .

– ذاك كان سيمون !

– لقد قلت لى هذا من قبل .

– بيجى .

– أوه !

– لقد كانت تلك جريمة قتل .

فقال « بيجى » فى ارتجاف :

– توقف عن هذا القول ، فما هى الفائدة من وراء تحدثك على هذا النحو؟

وقفز واقفاً على قدميه ، وأصبح يطل على « رالف » مِنْ علٍ .

– لقد كان الظلام سائداً . وكان هناك ذلك . . ذلك الرقص الدموى ، وكان هناك البرق والرعد والمطر ، وكنا جميعاً فى حالة من الرعب والخوف !

فقال « رالف » فى بطء :

– لم أكن أنا خائفاً . . لقد كنت . . لست أدرى ماذا كنت ؟! فقال «بيجى» فى إثارة :

– لقد كنا فى حالة من الذعر والرعب ، وكان من المتوقع أن يحدث أى شيء . ولم يكن الأمر على النحو الذى قلته . .

وكان يشير معبراً بالحركات ، وباحثاً عن صيغة معبرة عما يجيش فى ذهنه .

– أوه . . « بيجى » !

وكان صوت « رالف » منخفضاً ومتخاذلاً ومقهوراً ، مما جعل « بيجى » يتوقف عن القيام بتلك الحركات المعبرة بيديه وجسده ، فانحنى لأسفل ولاذ بالصمت فى ترقب ، وهز « رالف » نفسه للأمام والخلف وهو محتضن المحارة .

- ألا تفهمنى يا « بيجى » ؟ إن الأمور التى قمنا بها . .

- لعله مازال . .

- لا .

وتهدج صوت « بيجى » لدى رؤيته وجه « رالف » . .

- لقد كنت أنت خارج الدائرة . نعم ، كنت خارج الحلقة . . فأنت لم تدخل إلى الحلقة على الإطلاق . هل شاهدت بنفسك ماذا فعلنا ؟ . . أقصد : ما فعلوا هم ؟

وكان هناك اشمئزاز مع وجود نوع من الإثارة المحمومة فى نفس الوقت فى صوته .

- ألم تشاهد بنفسك يا « بيجى » ؟

- لم أشاهد جيداً كل تلك الأحداث ، فنظارتى ليس بها سوى عدسة واحدة الآن ، وكان ينبغى لك أن تدرك ذلك يا « رالف » . .

واستمر « رالف » فى هز نفسه للأمام والخلف . .

وقال « بيجى » فجأة :

- ولقد كان الأمر بمثابة حادثة ، ولم يخرج عن كونه حادثة . . مجرد حادثة .

- أنت لم تشاهد ما فعلوه .

- استمع إلى يا « رالف » ينبغى لنا أن ننسى كل هذا الذى حدث . . فنحن لا نستطيع التفكير فى هذا الأمر بطريقة سليمة . . أتفهمنى ؟

- إننى خائف وأريد العودة إلى وطنى . . يا إلهى ! أريد العودة إلى بيتى .

فقال « بيجى » فى إصرار وعناد :

- لقد كان الأمر مجرد حادثة ، وذلك هو كل ما فى الأمر .

ولمس كتف « رالف » ، العارى ، ففزع « رالف » لدى حدوث هذا الاتصال البشرى .

وألقى « بيجى » نظرة خاطفة فيما حوله ، وبعدئذ انحنى مقترباً وقال :

- استمع إلى يا « رالف » : لا تضع فى ذهنك أننا كنا نشارك فى ذلك الرقص ، وكذلك « سام » و « إريك » لم يشاركا فى الرقص .

- ولكننا كنا جميعاً مشتركين ، كلنا جميعاً !

فهز « بيجى » رأسه :

- ولكننا لم نشارك معهم حتى النهاية ، وهم لم يلحظوا فى الظلام شيئاً ، وعلى أية حال فأنت قلت عنى إننى خارج الحلقة .

فتمتم « رالف » :

- وأنا أيضاً ، فقد كنت أنا أيضاً خارج حلبة الرقص .

فأومأ « بيجى » برأسه فى لهفة وشغف واهتمام :

- هذا صحيح ، لقد كنا خارج دائرة الرقص ، ونحن لم نفعل أى شىء على الإطلاق ، بل لم نشاهد أى شىء مطلقاً . .

وتوقف « بيجى » عن الكلام . . . واستطرد :

- سنعيش هنا معتمدين على أنفسنا . فنحن الأربعة .

- نحن الأربعة ! إن عددنا هذا الضئيل لا يكفى لإشعال النيران .

- سنحاول . أتفهمنى ؟ أنا أشعل النيران .

وأقبل « سام » و « إريك » ، وكانا يجران كتلة هائلة من الخشب ويخرجان بها من الغابة ، وألقيا بالكتلة الخشبية بجوار النيران ، واستدارا فى اتجاه بركة الاستحمام ، فهب « رالف » واقفاً على قدميه .

- هاى ! أنتما الاثنان !

فتوقف » التوءمان » للحظات ، ولكنهما استمرا فى سيرهما .

- إنهما يا « رالف » ذاهبان للاستحمام .

- ويستحسن فتح الموضوع معهما .

ودهش « التوءمان » للغاية لدى مشاهدتهما « رالف » ، وارتفعت الدماء إلى وجهيهما ، وامتدت نظراتهما إلى ما وراء فى الهواء .

- لقد توقعنا أن نقابلك يا « رالف » .

- لقد كنا موجودين فى الغابة منذ لحظات ؛ لكى نحضر أخشاباً من أجل النيران . .

- ولقد تُهْنَا فى غياهب المكان فى الليلة الماضية .

ففحص « رالف » أصابع قدميه :

- هل تعرضتما للتوهان عقب الـ . .

وراح « بيجى » ينظف عدسة نظارته .

وقال « سام » بصوت مخنوق :

- عقب الوليمة .

وأومأ « إريك » برأسه :

- نعم . عقب الوليمة .

وقال « بيجى » على وجه السرعة :

- لقد غادرنا المكان فى وقت مبكر حيث كنا نشعر بالتعب والإرهاق .

- وهذا هو ما فعلناه أيضاً فى وقت مبكر للغاية . .

ولمس « سام » خدشاً فوق جبهته ، ثم سارع برفع يده عن الخدش على وجه السرعة ، ووضع « إريك » أصبعه على شفته المشقوقة .

وقال « سام » مرة أخرى :

- نعم . فقد كنا غاية فى الإرهاق ؛ ولذلك غادرنا المكان فى وقت مبكر. أكان الـ . . جيداً ؟

وكان الهواء ثقيلاً بالمعرفة غير المنطوقة ، وتلوى « سام » وانفلتت الكلمة الفاحشة من فمه حيث قال :

- أكان الرقص جيداً ؟

وهزت ذكرى الرقص الذى لم يشارك فيه أى منهم الأولاد الأربعة فى عنف :

- لقد غادرنا المكان فى وقت مبكر .

وعندما وصل « روجر » إلى عنق الأراضى التى تربط صخرة القلعة بالأرض الأم ، فإنه لم يندهش من التحدى التى ظهر له . . وكان قد عول

أثناء الليلة الرهيبة على العثور على الأقل على بعض أفراد القبيلة وقد احتموا من أهوال الجزيرة فى أكثر الأماكن أمناً .

ودوى الصوت بحدة من مكان مرتفع ، حيث كانت الشقوق المتناقضة متوازنة بعضها فوق بعض .

- توقف ! من يسير هناك ؟

- « روجر » .

- تقدم أيها الصديق .

فتقدم « روجر » .

- لقد قال الرئيس إنه ينبغى لنا أن نتحدى كل شخص ، فحملق «روجر» لأعلى :

- ليس باستطاعتك إيقافى عن التقدم إذا أردت ذلك .

- ليس باستطاعتى أنا ؟ اصعد إلى أعلى ، ولسوف ترى .

وتسلق « روجر » المنحدر الصخرى الذى يشبه السلم .

- انظر إلى هذا ؟

وكانت كتلة خشبية قد حُشرت تحت الصخرة العلوية ، ووضع تحتها عتَلة خشبية رافعة ، وانحنى « روبرت » قليلاً على العتلة فزمجرت الصخرة . وكان بَذْلُ أى جهد كبير من شأنه أن يلقى بالصخرة لأسفل بصوت كالرعد نحو عنق الأرض . واستصوب « روجر » ذلك ، حيث أعجبته الفكرة .

- إنه رئيس حقيقى ومناسب . . أليس كذلك ؟

فأومأ « روبرت » برأسه :

– وهو سوف يصحبنا معه للصيد .

وهز رأسه فى اتجاه الأكواخ البعيدةِ ، حيث كان ينطلق خيط رفيع من الدخان الأبيض صاعداً إلى عنان السماء . . وكان « روجر » جالساً على نفس حافة المنحدر الصخرى ، حيث كان ينظر باكتئاب وراءه نحو الجزيرة فى حين كان يشتعل بأصابعه فى سِنَّةٍ غير ثابتة . واستقرت حملقته على قمة الجبل البعيد ، وغير « روبرت » موضوع الحديث الذى لم يتم التطرق إليه :

– إنه سوف يعطى « ويلفريد » علقة ساخنة .

– لماذا ؟

فهز « روبرت » رأسه فى نوع من الشك :

– لست أدرى ، فهو لم يذكر السبب ، كل ما هناك أنه ظهر عليه الغضب ، وجعلنا نقوم بربط « ويلفريد » . . وضحك فى إثارة واستطرد :

– وهو ما زال مربوطاً منذ ساعات طويلة ومنتظراً .

– ولكن ألم يذكر الرئيس السبب ؟

– لم أسمعه يذكر السبب على الإطلاق .

وتلقى « روجر » هذه الأنباء كنوع من الاستنارة حين كان يجلس على الصخور الهائلة تحت الشمس اللافحة المحرقة . . وكف عن اللعب فى سِنتهِ غير الثابتة ، وجلس ساكناً ، وأخذ يستوعب احتمالات السلطة الطائشة غير الرشيدة ، وبعدئذ وبدون أن ينطق بأى كلمة أخرى تسلق على الصخور نحو الكهف إلى باقى أفراد القبيلة .

وكان الرئيس جالساً هناك عارياً حتى خصره ، وكان وجهه مدهوناً باللون الأحمر والأبيض ، وكانت القبيلة ترقد فى نصف دائرة أمامه ، وكان «ويلفريد » – الذى أخذ « علقه » ساخنة منذ فترة وجيزة ، وظل مربوطاً – يبكى بصوت مرتفع فى مكان خلفى . وجلس « روجر » القرفصاء مع الآخرين .

واستطرد الرئيس :

– غداً سنقوم بأعمال الصيد مرة أخرى .

وأشار إلى هذا المتوحش وذاك برمحه :

– وسوف يمكث بعضكم لتحسين الكهف وحماية البوابة ، ولسوف آخذ معى عدداً قليلاً من الصيادين وأعود لكم باللحوم ، وسوف يحرص المدافعون عن البوابة على عدم السماح للآخرين بالتسلل والدخول .

ورفع متوحش يده فاستدار الرئيس نحوه بوجهه الكئيب المدهون بالطلاء :

– ولماذا تتوقع منهم أن يحاولوا التسلل إلى الداخل أيها الرئيس ؟

وكان الرئيس غامضاً وغير صريح ، ولكنه كان جاداً :

– سوف يحاولون . . سيحاولون إفساد الأشياء التى نقوم بها ؛ لذلك ينبغى أن يكون المراقبون عند البوابة منتبهين وحريصين . . وبعدئذ . .

وتوقف الرئيس عن الكلام . . وشاهدوا مثلثاً من اللون الأحمر المفزع يتطاير ويمر على شفتيه ويختفى مرة أخرى :

– وبعدئذ قد يحاول الوحش الدخول ، وأنتم تذكرون كيف أنه زحف

فاقشعر بدن نصف الدائرة وارتجفت أجسامهم ، وتمتموا فى موافقة وتصديق :

- لقد جاء متخفيا ، ولربما يأتى مرة أخرى ، حتى فى حالة قيامنا بإعطائه رأس الذبيحة ليأكلها ؛ لذلك يجب أن ترقبوا وتلاحظوا وتكونوا غاية فى الحرص والحذر ؟

ورفع « استانلى » ساعده عن الصخرة وأشار بإصبع متسائلا :

- حسناً ، ولكن ألم نقم نحن ، ألم نقم نحن . . ؟

وتلوى ونظر لأسفل .

- لا !

وفى الصمت الذى أتبع ذلك جفل كل شخص متوحش من ذاكرته الفردية الخاصة به .

- لا ، فكيف كان باستطاعتنا أن نقتله ؟

فشعر المتوحشون ببعض الارتياح ، ولكنهم كانوا يشعرون ببعض الخوف من الأهوال المقبلة فيما بعد ، وراحوا يتمتمون مرة أخرى :

وقال الرئيس فى وقار :

- لذلك اتركوا الجبل وشأنه ، وأعطوه الرأس إذا ذهبتم للصيد ، ورفع «ستانلى » أصبعه مرة أخرى :

- أتوقع أن يكون الوحش قد أخفى نفسه . .

فقال الرئيس :

- ربما ، وعلى أية حال يستحسن أن نستمر فى التيقظ ومواجهته ، فلا أحد منا يعرف ماقد يفعله . .

وأخذ أفراد القبيلة يفكرون فى هذا القول ، ثم أصابتهم هزة كما لو كانوا قد اهتزوا بسبب هبة ريح . وشاهد الرئبس التأثيرات التى نجمت عن كلماته فوقف فجأة :

- ولكننا سنقوم بالصيد غداً ، وعندما ننجح فـى الحصول على اللحوم سنقيم وليمة .

ورفع « بيل » يده :

-- أيها الرئيس ؟

- نعم ؟

- ما هو الشىء الذى سنستخدمه لكى نشعل النيران ؟

فارتبك الرئيس واحمر وجهه غير أن احتقان وجهه قد اختفى وراء الطلاء الصلصالى الأحمر والأبيض . . وسكبت القبيلة تمذمتها مرة أخرى فى صمته المملوء بالقلق والتردد ، وبعدئذ رفع الرئيس رأسه قائلاً :

- سنحصل على النيران من الآخرين ، استمعوا الى ، غداً سنقوم بالصيد ونحصل على اللحوم ، وفى هذه الليلة سأذهب مع اثنين من الصيادين . . من منكم يرغب فى المجىء معى ؟

فرفع كل من « موريس » و « روجر » يده :

-- موريس .



– نعم أيها الرئيس ؟

– أين كانت توجد نيرانهم ؟

– فى الخلف عند المكان القديم بجوار صخرة النيران .

فأومأ الرئيس برأسه :

– ويستطيع باقى الصيادين أن يذهبوا للنوم عقب غروب الشمس مباشرة . أما نحن الثلاثة : « موريس » و « روجر » و « أنا » فلدينا أعمال تتطلب الإنجاز . وسوف نغادر هذا المكان قبل غروب الشمس مباشرة .

فرفع « موريس » يده :

– ولكن ماذا سيحدث إذا قابلنا . .

فقال الرئيس موضحاً :

– سنداوم على السير بجوار الرمال ، فإذا جاء فنلجأ إلى الرقص مرة أخرى مثلما فعلنا فى المرة السابقة .

– ثلاثتنا فقط ؟

ومرة أخرى تصاعدت الهمهمات ثم خمدت وتلاشت .

ناول « بيجى » نظارته لـ « رالف » ووقف منتظراً استعادة بصره . .

وكانت الأخشاب مبللة ومشبعة بالرطوبة .

وكانت هذه هى المرة الثالثة التى أوقدوا فيها النيران .

وكان « رالف » يقف إلى الوراء قليلاً ويتحدث إلى نفسه :

– لا نريد أن تمر ليلة أخرى بدون إشعال النيران .

ونظر فيما حوله ، نحو الأولاد الثلاثة الواقفين بالقرب منه ، وكانت تجتاحه موجات من الشعور بالذنب . . وكانت هذه هى المرة الأولى التى اعترف فيها بأن النيران تؤدى مهمة مزدوجة ، ومن المؤكد أن المهمة الأولى هى أنها ترسل عموداً من الدخان يدل على وجودهم فى هذا المكان ، أما المهمة الثانية فهى تدفئهم بالليل وتشعرهم بالراحة والارتياح إلى أن يناموا .

وراح « إريك » ينفخ فى الأخشاب إلى أن توهجت وصدر عنها لهب صغير . . وتصاعدت موجة عظيمة من الدخان الأبيض والأصفر إلى عنان السماء . واسترد « بيجى » نظارته ونظر إلى الدخان فى ابتهاج :

– لو كنا نتمكن من صنع راديو !

– أو طائرة !

– أو قارب .

وانجرف « رالف » إلى معلوماته المتلاشية تدريجياً عن العالم :

– قد نقع أسرى فى أيدى الهنود الحمر .

فدفع « إريك » بشعره إلى الوراء :

– ربما كانوا أفضل من . .

ولم يشأ أن يذكر اسم الناس ، وأكمل « سام » الجملة نيابة عنه بأن أومأ برأسه على طول « البلاج » .

وتذكر « رالف » الهيكل المخيف الموجود فى « الباراشوت » :

– لقد قال شيئاً عن وجود رجل ميت .

وخجل من نفسه ، وتصور مدى الألم لدى اعترافه لنفسه بأنه كان موجوداً أثناء الرقص . وقام بحركات من جسده تستحث الدخان على الصعود إلى طبقات الجو العليا .

– لا تتوقف أيها الدخان . . دَاوِمْ على الصعود لأعلى .

– إن كثافة الدخان آخذة فى التناقص !

– نحن بحاجة من الآن إلى المزيد من الأخشاب ، حتى ولو كانت الأخشاب مبللة .

– نوبات الربو عندى . .

وكان الرد له طابع التلقائية :

– دعك من الربو الخاص بك .

– إذا جذبت الكتل الخشبية تزداد نوبة الربو حدة . . وكنت أتمنى ألا تحدث لى هذه النوبات يا « رالف » ، ولكن ها هى ذى النوبات تهاجمنى .

وذهب الأولاد إلى الغابة ورجعوا وقد امتلأت أذرعهم بالأخشاب المسوسة . ومرة أخرى تصاعد الدخان كثيفاً ومتخذاً اللون الأصفر .

– هيا بنا نذهب لإحضار شىءنأكله ؟

وذهبوا معاً إلى أشجار الفواكه وهم يحملون معهم رماحهم ، وكانوا يسرعون فى مشيتهم ويتحدثون بكلمات قليلة ، وعندما خرجوا من الغابة مرة أخرى كانت الشمس تغيب وراء الأفق . . وكانت الجمرات فقط هى التى

تتوهج فى النار ، ولم يكن هناك أى قدر من الدخان .

وقال « إريك » :

- لا أستطيع حمل أى أخشاب أخرى ؛ لأننى أشعر بالإرهاق الشديد .

فسلك « رالف » صوته :

- لقد نجحنا فى جعل النيران تشتعل باستمرار بالأماكن العلوية هنالك .

- هنالك بالأماكن العلوية كانت النيران صغيرة ، ولكن هذه النيران التى نشعلها الآن تتطلب أن تكون نيراناً كبيرة .

فحمل « رالف » قطعة صغيرة من الأخشاب وألقى بها فى النيران ، وراح يرقب الدخان وهو يتصاعد وينجرف مع التيار تجاه الشفق الأحمر .

- ينبغى لنا الإبقاء عليها مشتعلة باستمرار .

فألقى « إريك » بنفسه على الأرض :

- إننى فى غاية الإرهاق . وما هو الخير الذى سيعود علينا من وراء النيران ؟

فصرخ « رالف » بصوت مملوء بالفزع والشعور بالصدمة :

- لا تتكلم على هذا النحو !

وركع « سام » بجوار « إريك » :

- حسناً . . ما هو الخير من وراء ذلك ؟

وحاول « رالف » فى سخط وتبرم أن يتذكر . . فقد كان هناك شىء

حسن يتعلق بالنيران . . شيء ما أعظم على نحو ساحق .

فقال « بيجى » فى اكتئاب وعبوس :

– لقد سبق لـ « رالف » أن أوضح لكم هذا الأمر مراراً وتكراراً . فهل هناك وسيلة أخرى لإنقاذ حياتنا سوى إشعال النيران ؟

– بالطبع ! إذا لم نطلق الدخان . .

وجلس القرفصاء أمامهم تحت ضوء الغسق المتدافع فى كثافته :

ألا تفهمون ؟ وما هى الفائدة التى ترجى من وراء التطلع إلى الحصول على راديوهات وقوارب ؟

ومد يده ولوى أصابعه فى قبضة يد من حديد :

– لا يوجد هناك سوى شيء واحد يمكن أن نفعله لإخراجنا من هذه الورطة ، فأى شخص يمكنه اللعب واللهو والصيد ، وأى شخص يمكنه أن يحضر لنا اللحوم . .

وراح ينتقل بنظراته من وجه إلى وجه ، وبعدئذ – ولدى وصوله إلى لحظة الاعتقاد الراسخ والشغف الهائل – رفرفت الستارة فى رأسه ، فنسى ما كان يهدف إليه ، فركع هنالك وقد أحكم غلق جماع يده ، وأخذ يحملق فى وقار، وينتقل بنظراته من شخص لآخر ، وبعدئذ تحركت الستارة عنه منقشعة إلى الخلف .

– أوه ! نعم . . ولذلك ينبغى علينا أن نبث الدخان ، بل والمزيد من الدخان .

- ولكننا لا نستطيع الإبقاء على النيران مشتعلة باستمرار . . انظر إلى تلك النيران !

وكانت النيران قد بدأت تتلاشى أمامهم .

فقال « رالف » موجهاً الكلام لنفسه بعض الشيء :

- اثنان منا يهتمان بشئون النيران ، بمعنى أنهما سيعملان فى شئون النيران ١٢ ساعة يومياً .

- لا نستطيع إحضار أية أخشاب أخرى ، يا « رالف » . .

- ليس أثناء الظلام . .

وقال « بيجى » :

يمكننا إشعال النيران فى صباح كل يوم . . فلا أحد سيرى الدخان ليلاً فى الظلام .

وأومأ « سام » برأسه فى عنف :

- لقد كان الأمر مختلفاً عندما كانت النيران فى الأماكن العلوية هنالك .

ونهض « رالف » واقفاً ، وشعر بأنه عديمَ الحيلة لدى تزايد كثافة الظلام .

- إذن فلندع النيران تنطفىء فى هذه الليلة فقط . .

وسار فى الطريق متجهاً إلى الكوخ الأول الذى لا يزال متماسكاً فى مكانه ، وإن كان قد تهشم بعض الشىء ، وكانت الأسرة المكونة من أوراق

الشجر ملقاة فى داخل الكوخ ، وكانت الأوراق جافة وتصدر أصواتاً لدى مسها . وفى الكوخ التالى كان يوجد طفل صغير يتحدث أثناء نومه ، وزحف الأولاد الأربعة الكبار إلى داخل الكوخ . وحفر كل واحد منهم لنفسه حفرة تحت الأوراق . . واستلقى « التوءمان » معاً واستلقى « رالف » و « بيجى » عند الجانب الآخر . واستمر تزييق الأوراق وخشخشتها لبعض الوقت ، وذلك أثناء محاولتهم التوصل إلى وضع مريح لأجسامهم .

– بيجى .

– نعم .

– هل أنت على ما يرام ؟

أعتقد ذلك .

وأخيراً أصبح الكوخ صامتاً فيما عدا بعض الخشخشة من وقت لآخر ، وتعلق أمامهم مستطيل من الظلام يتخلله « ترتر » براق . . وكان هناك الصوت الأجوف لأمواج البحر المتكسرة على الشعب المرجانية . ووطد «رالف » نفسه للاستسلام للعبته الليلية التى ترتكز على الافتراضات . .

لنفرض أنه أصبح بالإمكان نقلهم للوطن بطائرة نفاثة . . فهذا معناه أنهم سيهبطون قبل حلول الصباح فى ذلك المطار الضخم فى « ويلتشاير » وبعدئذ سينتقلون بالسيارة ، لا . لكى تتم الأمور على النحو السليم فإنهم سيذهبون بالقطار على طول المسافة جنوباً حتى « ديفون » ويأخذون ذلك الكوخ الخلوى الصغير مرة أخرى ، وبعدئذ تجىء الخيول المتوحشة عند نهاية الحديقة وتنظر من فوق السور .

وتقلب « رالف » فى قلق بين أوراق الشجر . . لقد كانت الدار تصور متوحشة ، وكذلك كانت الخيول . . إلا أن جاذبية التوحش كانت قد ولت إلى غير رجعة .

وانزلق ذهنه إلى التفكير فى مدينة أليفة مروضة ، حيث لا تستطيع الوحشية أن تضع قدمها عليها . وهل هناك شىء أكثر أمناً من مركز «الأتوبيس » بلمباته وعجلاته ؟

وعلى الفور كان « رالف » يرقص حول عمود مصباح . . وكان هناك «أتوبيس » يزحف خارجاً من محطة « الأتوبيس » ، وكان « الأتوبيس » عجيباً . .

– رالف ! رالف !

– ماذا فى الأمر ؟

– لا تحدث ضجة على ذلك النحو الذى . .

– آسف .

ومن بين الظلام السائد فى الطرف البعيد من الكوخ ترامى صوت أنين مريع ومخيف ، وتحركوا فى عنف وخوف ، وتهشمت الأوراق تحت وطأة حركاتهم ، وكان « سام » و « إريك » فى حالة احتضان ، وراح يقاتل كل منهما الآخر .

– سام ! سام !

– هاى – إريك !

وسرعان ما ساد الصمت مرة أخرى .

وتحدث « بيجى » بصوت خافت مع « رالف » :

– ينبغى أن نخرج من هذا الكابوس .

– ماذا تعنى ؟

– يجب أن يتم إنقاذنا .

ولأول مرة فى ذلك اليوم ضحك « رالف » فى سخرية ، على الرغم من حشود السواد والظلام الزاحفة .

فهمس « بيجى » :

– إننى أعنى ما أقول ، فإذا لم نعد إلى وطننا على وجه السرعة فستخرج الرغاوى من أفواهنا .

– حول المنعطف . .

– سعداء بإلقاء القنابل .

– أفاقون .

ورفع « رالف » خصلات شعره الرطب بعيداً عن عينيه .

– ابعث بخطاب إلى عمتك ؟

وفكر « بيجى » فى هذا الأمر فى وقار وخشوع !

– إننى لا أعرف أين هى الآن ، وليس عندى مظروف ولا طابع بريد ، ولا يوجد صندوق بريد لوضع الخطاب فيه ، ولا يوجد ساعٍ للبريد . .

وسيطر نجاح هذه النكتة الصغيرة على « رالف » فانخرط فى ضحك هستيرى لا يمكن التحكم فيه ، وكان جسده يتقافز وينتفض .

فعنفه « بيجى » فى وقار :

- إننى لم أقل شيئاً يدعو إلى كل هذا الضحك . .

واستمر « رالف » فى الضحك الهستيرىِ برغم الآلام التى أحس بها فى صدره ، وأنهكته انتقاضات جسده إلى أن استلقى متقطع الأنفاس ، كئيب المنظر ، منتظراً النوبة التشنجية التالية . وبدأ النوم يتربص به أثناء إحدى فترات التوقف عن الضحك .

- رالف « لقد عُدْتَ تثير الضجة والضوضاء مرة أخرى ، من فضلك التزم بالهدوء يا « رالف » . . لا . .

وتقلب « رالف » فى اضطراب لاهث بين الأوراق . . وشعر بالامتنان لأن حلمه قد قُطع ، لأن « الأتوبيس » كان أكثر قرباً وأكثر وضوحاً . .

- لماذا ؟ . . لأن . .

- الزم الهدوء . . وأرهف السمع .

فاستلقى « رالف » فى حرص وحذر وهو يتابع التنهيدة الطويلة المنبعثة من الأوراق . ونطق « إريك » ببضع كلمات فى أنين ثم استلقى ساكناً . وكان الظلام حالك السواد ، باستثناء المستطيل العديم الجدوى الذى تتخلله النجوم .

- إننى لا أسمع شيئاً .

- كان هناك شىء ما يتحرك خارج الكوخ .

وظهر وخز فى رأس « رالف » ، وأغرق صوت بكائه كل شىء آخر ، وبعدئذ خمد وهدأ .

- مازلت غير قادر على سماع أى شىء .

- أرهف السمع . . أرهف السمع لفترة طويلة .

وفى وضوح تام - وعلى نحو مؤكد تماماً - صدرت خشخشة عن إحدى الأغصان على مسافة باردة أو نحو ذلك من ظهر الكوخ ، فزأرت الدماء مرة أخرى فى أذنى « رالف » وراحت الصور المختلطة تطارد بعضها بعضاً فى داخل عقله . وكان خليط من هذه الأشياء يجول ويجوس حول الأكواخ . . وشعر برأس « بيجى » يرتكن على كتفه ، بقبضة يده التى تمسك به فى تشنج .

- رالف ! رالف !

- التزم بالصمت وأرهف السمع .

وراح « رالف » يدعو الله فى استماتة لكى يفضل الوحش التهام الأطفال الصغار .

وهمس صوت بشكل مرعب فى الخارج :

- بيجى . . بيجى . .

فشهق « بيجى » قائلا :

- لقد وصل إلينا . . إنها حقيقة واقعة !

وأمسك بـ « رالف » فى تشبث واشرأب بعنقه ليلتقط الهواء .

– بيجى . . هيا نخرج من الكوخ . . أنا فى حاجة إليك يا « بيجى »
وكان فم « رالف » ملاصقاً لأذن « بيجى » .

– لا تقل أى شىء .

– « بيجى » أين أنت يا « بيجى » ؟

واحتك شىء ما بسرعة خاطفة بظهر الكوخ ، وظل « بيجى » ساكناً للحظات ، وبعدئذ تعرض لنوبة من الربو ، فقوس ظهره وتمرغ بين الأوراق بساقيه ، فتدحرج « رالف » مبتعداً عنه .

وبعدئذ كان هناك عواء شرير فى فتحة الكوخ ، وظهر الوثوب والخبط واللكم الصادر عن كائنات حية . . وتعثر شخص ما فوق « رالف » وأصبح المكان الذى يكمن فيه « بيجى » يضج بالعواء والزمجرة وأصوات الارتطام والتحطيم والأطراف المتطايرة ، وسدد « رالف » الضربات لهم . . وبعدئذ بدأ يتدحرج مع عدد من الآخرين يصل إلى حوالى ١٢ شخصاً ، وانخرطوا جميعاً فى العض والضرب والخدش . وتعرض « رالف » للكمات الشديدة ، وشعر بجسده يتمزق ، وعثر على بعض الأصابع فى فمه ، فانهال عليها قضماً وعضاً ، وتراجعت قبضة قوية للخلف ، ثم عادت مثل « البستن » حتى إن الكوخ بأكمله تفجر بالقتال ، وتلوى « رالف » على جانب فوق قمة جسد يتضور ألماً ، وأحس بالأنفاس الساخنة فوق خده ، فأخذ يدق ويسحق الفم الموجود تحته مستخدماً قبضة يده المغلقة فى إحكام كالمطرقة ، وراح يضرب فى مزيد من العصبية والهستيرية عندما أصبح الوجه زلقاً ، وتحركت ركبة لأعلى بين ساقيه ، فسقط على جانبٍ متضوراً من الألم

الشديد، ودار القتال فوقه ، وبعدئذ تهاوى الكوخ فى تداع نهائى مكتوم ، وشقت الأشكال العديمة الأسماء طريقها بصعوبة وهى تغادر المكاٰن، وجرجرت أشكال مظلمة نفسها خارجةً من الحُطام ، ورفرفت مبتعدة ، وعندئذ أصبحت صرخات الأطفال وشهقات « بيجى » مسموعة بوضوح مرة أخرى .

ونادى « رالف » بصوت مرتجف :

– جميع الأطفال الصغار يذهبون للنوم ، لقد دخلنا فى معركة مع الآخرين ، والآن اذهبوا للنوم .

فاقترب « سام » و « إريك » من « رالف » وحملقا فيه :

– هل أنتما الاثنان على ما يرام ؟

– أعتقد ذلك . .

– لقد شطر جسدى إلى نصفين .

– وأنا كذلك ، كيف الحال بالنسبة لبيجى ؟

وجذبوا « بيجى » من بين الحُطام وأسندوه على شجرة . . وكان الليل بارداً وخالياً من الرعب المباشر ، وكان تنفس « بيجى » قد تحسن بعض الشىء .

– هل أصبت بأية جروح يا « بيجى » ؟

– ليس كثيراً .

فقال « رالف » فى مرارة :

– إنه « جاك » والصيادون التابعون له . . لماذا لا يتركوننا وشأننا ؟

فقال « سام » :

– لقد أعطيناهم علقة ساخنة لن ينسوها .

وأرغمته الأمانة على أن يستطرد قائلاً :

أنتم على الأقل فعلتم ذلك ، فأنا قد أصبت بالارتباك في أحد الأركان .

وقال « رالف » :

– لقد أعطيت واحداً منهم درساً قاسياً . فقد حطمته تماماً ، وهو لم يأت مرة أخرى ليقاتلنا قبل أن يفكر في ذلك الأمر عشرات المرات .

وقال « إريك » :

– وفعلت أنا أيضاً ذلك . . فعندما استيقظت من النوم كان هناك شخص يركلني ويرفسني في وجهي ، وانسابت الدماء بشكل مريع من وجهي على ما أعتقد يا « رالف » ، ولكني تغلبت عليه في النهاية .

– ماذا فعلت ؟

فقال « إريك » في فخر :

– لقد رفعت ركبتي لأعلى وضربته بركبتي بين ساقيه . . ولا بد أنك سمعته يعوي من الألم ، وهو قد أخذ درسا قاسياً ولن يعود إلى قتالنا مرة أخرى قبل أن يفكر في ذلك الأمر كثيراً ؛ ولذلك فنحن قد أثبتنا وجودنا . .

وتحرك « رالف » فجأة في الظلام ، ولكنه سمع « إريك » يحرك فمه

باستمرار :

– ماذا فى الأمر ؟

– لا شىء ، مجرد سِنَّةٍ غير ثابتة .

ووقف « بيجى » .

– أأنت على ما يرام يا « بيجى » ؟

– لقد اعتقدت أنهم كانوا يريدون الحصول على المحّارة .

وهرول « رالف » متجهاً إلى « البلاج » الشاحب ، وقفز صاعداً إلى الرصيف ، وكانت المحارة مازالت تلمح بجوار مقعد الرئيس ، فحملق للحظات قليلة ثم عاد إلى « بيجى » :

– إنهم لم يأخذوا المحارة .

– أعرف ذلك ، إنهم لم يجيئوا من أجل الحصول على المحارة ، وإنما جاءوا من أجل شىء آخر . يا « رالف » ، ماذا سأفعل أنا ؟

وبعيداً على طول الشريط المنحنى للبلاج كان ثلاثة أشخاص يهرولون تجاه صخرة القلعة ، وكانوا يحرصون على الابتعاد عن الغابة ويلتزمون بالجرى بجوار الماء ، وكانوا ينشدون من وقت لآخر بصوت منخفض ، ومن وقت لآخر كانوا سيسيرون فى بطء بجوار خط الضياء الفوسفورى المتحرك ، وكان الرئيس يقودهما مهرولاً فى خطوة منتظمة ، وكان سعيداً بما أنجزه من أعمال ، وكان فى تلك اللحظة زعيماً حقا . وكان يقوم بحركات الطعن والوخز برمحه ، وكانت نظارة « بيجى » المكسورة تتدلى من يده اليسرى .



الفصل الحادى عشر



صخـــرة القلعـــة

وتحـت البـــرد المعتدل للفجر – والذى يدوم لفترة قصيرة – تجمع الأولاد الأربعة حول البقعة السوداء التى كانت توجد عليها النيران ، وانحنى «رالف» وراح ينفخ ، فتطاير رماد خفيف هنا وهناك نحو أنفاسه ، ولكن لم تتوهج أية شرارة بين الرماد ، وراقب « التوءمان » الموقف فى قلق ، فى حين كان « بيجى » جالساً – وقد خَلا وجهه من أى تعبير – خلف الحائط المضىء؛ لقِصَر البصر عنده . واستمر « رالف » فى النفخ إلى أن أصبحت أذناه تعانيان الجهد ، وحلت النسائم الأولى للفجر محله فى هذه المهمة وأعمت عينيه بالرماد ، فتراجع للخلف قليلاً وجلس القرفصاء ، وراح يسب ويلعن ويمسح الماء المنهمر من عينيه .

– لا فائدة !

فنظر « إريك » نحوه فى استياء شبه محجوب من خلال قناع من الدماء الجافة . وحملق « بيجي » فى الاتجاه العام الذى يوجد فيه « رالف » .

– بالطبع لا جدوى من وراء النفخ يا « رالف » . والآن لا توجد لدينا نيران .

وقرب « رالف » وجهه بحيث أصبح على مسافة قدمين فقط من وجه «بيجى » .

- هل يمكنك مشاهدتى ؟

- قليلاً .

وسمح « رالف » للجزء المتدلى المتورم من خده بأن يغلق عينه مرة أخرى .

- لقد استولوا على نيراننا .

وتصاعد الغضب فى داخله فصرخ فى حدة :

- لقد سرقوا نيراننا .

وقال بيجى :

- هاَ هى ذى أفعالهم الدنيئة . . لقد أعمونى وأصابونى بالعمى . . وذلك هو « جاك » مريديو . . ادع إلى عقد اجتماع يا « رالف » ؛ إذ ينبغى لنا أن نقرر ما يجب أن نفعله .

- اجتماع من أجلنا نحن فقط ؟

- هذا هو كل ما لدينا من أعداد . . يا « سام » دعنى أسير باستمرار على مقربة منك .

- وساروا جميعاً نحو الرصيف .

وقال « بيجى » :

- انفخ فى البوق . . انفخ بصوت مرتفع بقدر ما تستطيع .

ودوت الغابة مرة أخرى بأصداء الصوت ، فتطايرت الطيور من فوق قمم الأشجار بصوت مرتفع مثلما فعلت فى ذلك الصباح الأول منذ عصور جيولوجية مضت ، وكان « البلاج » مهجوراً على كلا الجانبين ، وجاء بعض

الأطفال الصغار من الأكواخ ، وجلس « رالف » فوق جذع الشجرة اللامع، ووقف الثلاثة الآخرون أمامه ، وأومأ برأسه ، وجلس « سام » و«إريك » جهة اليمين . ودفع « رالف » بالمحارة بين يدى « بيجى » فـأمسك « بيجى » المحارة اللامعة فى حرص وعناية وراح يرمش بعينيه تجاه «رالف » :

– أبدأ فى التكلم ؟

– لقد أخذت المحارة لكى أقول لكم : إننى لم أعد أستطيع الرؤية ومشاهدة الأشياء وإنه ينبغي لى استعادة نظارتى ، ولقد حدثت أشياء مروعة ومخيفة على هذه الجزيرة ، ومازالت تحدث ، ولقد سبق أن أدليت بصوتى وانتخبتك رئيساً – وهو الشخص الوحيد الذى يعمل دائماً ما يروق له – لذلك يجب عليك يا « رالف » أن تتكلم وتحدثنا عما ستفعله . وإلا . .

وتوقف « بيجى » عن الكلام وراح يبكى ويدع المخاط يسيل من أنفه ، فأخذ « رالف » المحارة ، وجلس « بيجى » :

– مجرد نيران عادية . . ولعلكم ترون معى أنه باستطاعتنا إشعال تلك النيران . أليس كذلك ؟ مجرد إشارة من الدخان حتى يمكن إنقاذ حياتنا . أنحن أناس همجيون أم ماذا ؟ ففى هذه اللحظة – ولأول مرة – لا تتصاعد إشارة من الدخان ، وقد تكون هناك سفن تمر فى هذه اللحظات بالقرب منا . هل تذكرون كيف أنه انهمك فى أعمال الصيد فانطفأت النيران أثناء مرور سفينة القرب منا ؟ ومع ذلك يعتقد الجميع أنه أفضل منى فى منصب الرياسة . وبعدئذ كان هناك . . وكان هناك . . وتلك كانت غلطته أيضاً . فلو لم يكن هو رئيساً لما حدث ذلك الأمر على الإطلاق . والآن لا يستطيع «بيجى » الرؤية بدون نظارة ، وقد جاءوا إلينا بهدف السرقة ليلاً فى الظلام ،

وسرقوا نيراننا . نعم سرقوا نيراننا ، ولقد كنا على استعداد لإعطائهم ما يريدونه من نيران إذا طلبوا منا ذلك . . ولكنهم جاءوا وسرقوا النيران ، وأطفئوا الإشارة ، وبذلك لا يمكن إنقاذ حياتنا على الإطلاق . . أتفهمون ما أريد قوله ؟ لقد كنا على استعداد لمنحهم ما يريدون من نيران ، ولكنهم لجئوا إلى السرقة . وأنا . .

وتوقف فى شىء من التخاذل العقلى عندما رفرفت الستارة فى ذهنه ورفع « بيجى » يديه طالباً المحارة .

– ما هو الإجراء الذى ستتخذه يا « رالف » ؟ فهذا الكلام الذى تقوله هو مجرد كلام بدون اتخاذ قرارات ، وأنا أريد استعادة نظارتى .

– إننى أحاول التفكير فى هذا الأمر ، إننى أعرض عليكم فكرة الذهاب إليهم ، نذهب إليهم بصورتنا العادية التى اعتدنا الظهور بها ، الوجوه مغسولة ، والشعر مصفف ؛ لأننا أولاً وقبل كل شىء لسنا همجيين بالفعل ، وإنقاذ حياتنا ليس من قبيل اللهو واللعب .

وفتح الجزء المتورم المتدلى من خده ، ونظر إلى « التوءمين » :

– باستطاعتنا أن نتأنق ونتهندم قليلاً ، ثم نذهب إليهم .

فقال « سام » :

– ينبغى لنا أن نأخذ معنا الرماح ، ويأخذ « بيجى » أيضاً رمحه .

– لأننا قد نحتاج إلى هذه الرماح .

– أنت غير ممسك بالمحارة !

فأمسك « بيجى » بالمحارة .

– يمكنكم أن تأخذوا معكم الرماح الخاصة بكم إذا كنتم ترغبون فى

ذلك ، ولكنى لن أفعل ذلك ، فما الفائدة إذا أخذت رمحى معى ؟ فأنا سأقاد مثل الكلب على أية حال . نعم اضحكوا . انخرطوا فى الضحك المستمر. هناك أشخاص فى هذه الجزيرة يضحكون على أى شىء . . وما هى النتيجة؟ وما هى الأفكار التى تدور فى ذهن الأولاد الكبار ؟ لقد تم اغتيال « سيمون » الصغير . كما كان الولد الصغير الذى له علامة على وجهه موجوداً ، فمن منكم شاهده منذ أن جئنا إلى هذه الجزيرة ؟

– يا « بيجى » . . انتظر قليلا !

– المحارة معى . . سأذهب إلى ذلك الولد المسمى « جاك مريديو » وأقول له بكل صراحة ما يعتمل فى صدرى .

– ستتعرض للأذى والمتاعب .

– وماذا يمكنه أن يفعل أكثر مما فعل ؟ سأوضح له الصالح من الطالح والغث من الثمين ، ودعونى أحمل المحارة يا « رالف » ، لكى أريه الشىء الوحيد الذى لم يحصل عليه .

وتوقف « بيجى » عن الكلام للحظات ، وراح يحملق فيما حوله فى الأشكال المعتمة ، وكان تجسد الاجتماع القديم المهروس والمسحوق بالأقدام بين العشب يصغى إليه .

– سأذهب إليه وأنا ممسك بالمحارة فى يدى ، سأظهر المحارة واضحة أمامه ، سأقول له : استمع إلى . أنت أقوى منى ، وأنت غير مصاب بمرض الربو . سأقول له : أنت تستطيع الإبصار بكلتا عينيك ، ولكنى لا أتوسل إليك لكى ترد إلى نظارتى ، ولا أريد الحصول على نظارتى من باب العطف والإحسان والمن على . ولا أطلب منك أن تتحلى بالروح الرياضية ،

ليس لأنك على خطأ ، ولكن لأن الحق هو الحق ، سأقول لك : أعطني نظارتي . وهذا هو ما ينبغي أن تفعله .

وأنهى « بيجى » كلامه وهو يرتعش ، وكانت دماء الغضب تتصاعد إلى رأسه ، ودفع بالمحارة بين يدى « رالف » كما لو كان يريد التخلص منها على وجه السرعة ، وراح يمسح الدموع من عينيه ، وكان الضوء الأخضر لطيفاً حولهم ، وكانت المحارة راقدة عند قدمى « رالف » رقيقة وبيضاء . وتلألأت نقطة واحدة من الماء قد هربت من بين أصابع « بيجى » فوق المنحنى الرقيق كأنها إحدى النجوم .

وأخيراً اعتدل « رالف » فى جلسته ، ودفع بشعره للخلف :

– وهو كذلك ، أقصد يمكنك أن تفعل هذا إذا كان هذا الإجراء يروق لك ، ولسوف نذهب معك .

فقال « سام » فى خوف :

– ولكنه سيكون مدهوناً بالطلاء ، وأنتم تعرفون كيف أنه سيكون . .

– إنه لن يهتم كثيراً بنا .

– إذا ظهرت عليه المرونة فسنحصل عليها .

فعبس « رالف » فى وجه « سام » . وتذكر فى شىء من الغموض وعدم الجلاء بعض الكلام الذى كان قد قاله « سيمون » ذات مرت عند الصخور. فقال :

– لا تكن أحمق ، وأضاف قائلاً بسرعة : هيا بنا .

وقدم المحارة لـ « بيجى » لكى يحملها ، فارتفعت الدماء فى وجه «بيجى» نتيجة للشعور بالفخر فى هذه المرة .

- ينبغى أن تحملها .

- عندما نصبح جاهزين سأحملها .

وراح « بيجى » يبحث فى ذهنه عن كلمات يعبر بها عن رغبته العميقة فى حمل المحارة ، مع الابتعاد عن شبهة المجاملات :

- لا يهمنى ذلك كثيراً ، وكل ما أريده يا « رالف » هو أن يتم اقتيادى على الطريق .

فوضع « رالف » المحارة على الكتلة الخشبية اللامعة .

- يحسن بنا أن نتناول الطعام أولا ونستعد بعد ذلك .

وشقوا طريقهم نحو أشجار الفاكهة التى لحق بها الدمار والتخريب ، وتم مساعدة « بيجى » لكى يتمكن من تناول طعامه ، وعثر بنفسه على بعض الطعام عن طريق اللمس ، وبينما كانوا يأكلون أخذ « رالف » يفكر فى فترة ما بعد الظهيرة .

- سنكون على النحو الذى نحن عليه ، ولسوف نغتسل .

فابتلع « سام » الطعام الذى يملأ فمه واحتج قائلاً .

- ولكننا نستحم فى كل يوم !

فنظر « رالف » إلى الأشياء القذرة الموجودة أمامه وتنهد . .

- ينبغى أن نمشط شعرنا ، وكل ما هنالك أنه طويل للغاية .

فقال « إريك » :

- لدى فى الكوخ جوربان ، ويمكننا جذبهما فوق رءوسنا مثل الطاقية ، كنوع من أنواع الطواقى .

فقال « بيجى » :

يمكننا العثور على شيء ما ، ونربط به شعرنا من الخلف .

– مثل البنات !

– لا . ليس بالطبع مثل البنات .

وقال « رالف » :

– إذن يجب أن نذهب ونحن على ما نحن عليه . وهم لن يكونوا أفضل حالاً منا .

وقام « إريك » بحركة استدراك وإعاقة .

– ولكنهم سيكونون مدهونى الأجسام . وأنتم تعرفون كيف يكون منظر هذا الطلاء .

وأومأ الآخرون برءوسهم ، وأدركوا جيداً أن إخفاء الأجسام بالطلاء يفضى إلى الوحشية ، ويؤدى إلى الهمجية .

وقال رالف :

– حسناً ، أما نحن فلن ندهن أجسامنا ؛ لأننا لسنا متوحشين أو همجيين .

فنظر « سام » و « إريك » أحدهما إلى الآخر .

– ومع ذلك . .

فصرخ « رالف » فى عنف :

– لا طلاء !

وحاول أن يتذكر .

وقال :

- الدخان . نحن نريد الدخان .

وانقلب على « التوءمين » فى وحشية .

- لقد قلت « الدخان » . . ينبغى أن نطلق الدخان .

وساد الصمت المطبق ، ولم يتخلل ذلك الصمت سوى طنين الحشود الهائلة من النحل . وأخيراً تكلم « بيجى » فى شىء من الود والحنان .

- بالطبع ينبغى أن نشعل النيران ؛ لأن الدخان هو إشارة تدل على وجودنا ، ولا يمكن أن تنقذ حياتنا إذا لم نتمكن من إطلاق الدخان .

فقال « رالف » فى حدة :

- إننى أعرف ذلك !

وجذب ذراعه بعيداً عن « بيجى » ، واستطرد :

- أأنت تقترح علىّ هذه الأفكار ؟

فقال « بيجى » على وجه السرعة :

- إننى أقول فقط ما تقوله أنت دائماً ، فقد فكرت فى ذلك الأمر للحظات . .

فقال « رالف » بصوت مرتفع :

- إننى لم أفكر فى ذلك الأمر للحظات ، ولكننى أدرك هذه الحقيقة طوال الوقت وباستمرار ، فهذه الحقيقة متمثلة فى ذهنى بصفة مستمرة ، ولا تغيب عن تفكيرى فى أى من الأوقات .

فأومأ « بيجى » فى استعطاف واسترضاء .

– أنت الرئيس يا « رالف » . أنت تتذكر كل شىء .

– أنا لم أنس .

– بالطبع لم تنس .

وكان « التوءمان » يفحصان « رالف » فى شىء من الدهشة كما لو كانا يشاهدانه لأول مرة .

وانطلقوا على طول الشاطىء فى مجموعة تتكون من أربعة أفراد . . وكان «رالف » يسير فى المقدمة ، وكان يعرج بعض الشىء وقد وضع رمحه على كتفه ، وكان يرى الأشياء بشكل جزئى من خلال ارتعاشات ضباب الحرارة فوق الرمال المهتزة فى وميض ، وبسبب شعره الطويل ، وبسبب الضرر والأذى الذى لحق به . وخلفه كان يسير « التوءمان » وكانا يشعران فى تلك الآونة بالضيق ، إلا أنهما كانا ممتلئين بالحيوية والقوة المتأججة ، وكان كلامهما قليلاً ، غير أنهما كانا يجران فى تثاقل مَقْبَضَىْ رمحيهما الخشبيين؛ لأن « بيجى » كان قد اكتشف أن باستطاعته مشاهدة هذه الأمور التى تتحرك على طول الرمال ، وذلك « بيجى » يسير بين المقبضين المسحوبين على الأرض وقد أمسك المحارة بكلتا يديه فى حرص وعناية . وكان الأولاد بمثابة مجموعة صغيرة متآلفة تتحرك على « البلاج » ، أربعة ظلال مسطحة كالصحيفة تتراقص وتختلط تحتهم ، ولم تترك العاصفة أية آثار حيث كان «البلاج » نظيفاً مثل الفصل الذى تم صقله وتنظيفه . وكانت السماء والجبل يقعان على مسافة هائلة ، وكانا يتوهجان تحت وطأة الحرارة ، أما الشعب المرجانية فكانت مرفوعة لأعلى من خلال السراب ، وكانت تطفو فوق بركة فضية تقع على منتصف الطريق المؤدى إلى السماء .

ومروا على المكان الذى سبق أن رقصت عليه القبيلة ، وكانت الأغصان والعِصى المتفحمة مازالت ملقاة على الصخور حيث أخمدتها الأمطار ، غير أن الرمال القريبة من مياه البحر أصبحت ناعمة مرة أخرى ، ومروا على ذلك المكان فى صمت . ولم يشك أحد فى أن القبيلة سيتم العثور عليها عند صخرة القلعة ، وعندما لاحت لهم صخرة القلعة توقفوا جميعاً فى لحظة واحدة ، وكانت أشد الكتل كثافة فوق الجزيرة ، وهى كتلة من جذوع الأشجار الملتوية السوداء والخضراء التى لا يمكن اختراقها ، وتقع على يسارهم ، وكان العشب الطويل يتمايل وينحنى أمامهم . وفى تلك اللحظة تقدم « رالف » للأمام .

وهنا كان يوجد العشب المهروس الذى سبق أن اضطجعوا عليه جميعاً عندما ذهب هو ليحتج ، وكان يوجد هناك عنق الأراضى ، وكانت توجد سلسلة الصخور القريبة من الشاطىء ، والتى تلتف حول الصخرة ، وفوق الصخرة كانت توجد القمم العالية الحمراء اللون .

ولمس « سام » ذراعه .

– الدخان !

وكانت هناك سحابة من الدخان تتمايل فى ارتعاش فى الهواء على الجانب الآخر من الصخرة .

– بعض النيران ؟! لا أظن ذلك .

والتفت « رالف » وراءه :

– ولماذا نتخفى ؟

واتخذ خطوات فوق الشريط العشبى وتخطاه إلى المساحة المكشوفة الصغيرة التى تؤدى إلى العنق الضيق :

- أنتما الاثنان تتبعانني فى المؤخرة ، سأسير أنا فى المقدمة وسيسير «بيجى» ورائى بخطوة واحدة ، واستعدا بالرماح الموجودة معكما .

وحملق « بيجى » فى قلق فى الحجاب المضىء الذى كان يتدلى بينه وبين العالم الخارجى .

- هل هناك أمان ؟ ألا يوجد هناك منحدر صخرى بالقرب من الشاطىء ؟ إننى أسمع البحر بوضوح .

- عليك بالسير ورائى مباشرة .

وتحرك « رالف » للأمام تجاه العنق ، وركل حجراً ، فطار نحو البحر ووقع فى الماء ، وعندئذ حدثت حركة امتصاص لأسفل فى مياه البحر ، فأزاحت النقاب عن مربع عشبى أحمر على مسافة أربعين قدماً أسفل ذراع «رالف» اليسرى .

فقال « بيجى » بصوت متهدج :

- هل أنا فى أمان ؟ إننى أشعر بالرهبة !

ومن مكان مرتفع فوقهم ، ومن القمم العالية صدرت صيحة فجائية تلتها صرخة حرب ، فردت عليها صرخات اثنى عشر شخصاً مترامية من وراء الصخرة .

- أعطنى المحارة ، وَقِفْ مكانك صامتاً بدون حراك .

- تَوَقَّفْ ! من يسير هناك ؟

فأحنى « رالف » ظهره ولمح وجه « روجر » المظلم فوق القمة . فصاح «رالف » :

– أنت تدرك من أنا ، توقف عن هذا السخف ولا تكن غبياً !

ووضع المحارة على شفتيه وبدأ في النفخ ، فظهر المتوحشون بأجسامهم المدهونة بالطلاء ، وتقدموا تدريجياً حول سلسلة الصخور الغربية من الشاطيء واتجهوا نحو العنق ، وكانوا يحملون الرماح في أيديهم ويستعدون لحماية المدخل ، فاستمر « رالف » في النفخ متجاهلاً موجات الرعب التي اجتاحت « بيجي » .

وكان « روجر » يصيح :

– أنت معتوه . . ألا تدرك الموقف ؟

وأخيراً رفع « رالف » شفتيه عن المحارة وتوقف ؛ لكي يسترد أنفاسه اللاهثة . ثم جاءت كلماته شاهقة ولاهثة ، إلا أنها كانت واضحة ومسموعة .

– إنني أدعو إلى عقد اجتماع .

وراح المتوحشون الذين يحرسون العنق يتمتمون فيما بينهم . . ولكن لم تصدر عنهم أية حركة . فتقدم « رالف » خطوتين للأمام . وهمس صوت وراءه في إلحاح :

– لا تتركني . . يا « رالف » ؟

فقال « رالف » وهو ينظر على جانب :

– عليك بالركوع على الأرض والانتظار إلى أن أعود إليك . .

ووقف عند منتصف المسافة المؤدية إلى العنق وحملق في المتوحشين بشدة . وكان المتوحشون يشعرون بالحرية والانطلاق وهم مستترون وراء الدهان

الذى يطلى أجسامهم ، وكانوا قد ربطوا شعورهم الطويلة من الخلف ، وبذلك كانوا يشعرون بالراحة أكثر منه ، وقرر « رالف » أن يربط شعره من الخلف فيما بعد ، بل شعر أنه يريد أن يطلب منهم الانتظار لحين قيامه بربط شعره إلى الوراء فى نفس ذلك المكان وفى نفس تلك اللحظة . إلا أن هذا المطلب كان أمراً مستحيلاً ، وضحك المتوحشون ضحكات مكتومة ، وأشار أحدهم برمحه نحو « رالف » وفى المكان العالى رفع « روجر » يديه عن العتلة الخشبية وانحنى بجسده للأمام ، ليرى ما يحدث . وكان الأولاد الموجودون فوق العنق يقفون فى بركة من الظلال الخاصة بهم ، وكانت الظلال متناقصة ولا تضم سوى رءوس مشوشة . وجثم « بيجى » منحنياً ، وكان ظهره عديم الشكل مثل الزكيبة .

- إننى أدعو إلى عقد اجتماع .

وساد صمت مطبق .

والتقط « روجر » حجراً صغيراً ، وألقى به بين التوءمين ، وكان يهدف إلى عدم إصابتهما بالحجر ، ففزع « التوءمان » وتمالك « سام » نفسه بصعوبة ، وبدأ نوع ما من القوة فى النبض فى داخل جسد « روجر » .

وتكلم « رالف » مرة أخرى بصوت مرتفع :

- إننى أدعو إلى عقد اجتماع .

ومر ببصره عليهم جميعاً .

- أين يوجد « جاك » ؟

فتحركت مجموعة الأولاد وراح يستشير بعضهم بعضاً ، ثم تحدث وجه مدهون بالطلاء بصوت يشبه صوت « روبرت » :

- إنه يقوم بأعمال الصيد الآن ، ونبهنا إلى عدم السماح لكم بالدخول إلى هذا المكان الخاص بنا .

فقال « رالف » :

- لقد جئت لبحث موضوع النيران معكم ، وكذلك الموضوع الخاص بنظارة « بيجى » .

وغيرت المجموعة الموجودة أمامه من أماكنها ، وانطلقت ضحكات مرتعشة من بينهم ، وكانت ضحكات خفيفة مملوءة بالتوتر ، فترددت أصداؤها بين الصخور الطويلة .

وتحدث صوت من وراء « رالف » :

- ماذا تريد ؟

وتحرك « التوءمان » فجأة وتخطيا « رالف » ووقفا بين « رالف » والمدخل ، فاستدار « رالف » على وجه السرعة . . وكان « جاك » - الذى أمكن تمييزه من خلال شخصيته وشعره الأحمر - يتقدم للأمام خارجاً من الغابة . وكان هناك صيادان يربضان على كلا جانبيه وكان ثلاثتهم متخفين وراء أقنعة تضم اللونين : الأسود والأخضر ، ووراءهم فوق العشب كان هناك الجسد المقطوع الرأس الممتلىء البطن للخنزيرة ، حيث كان جسدها يرقد فى نفس المكان الذى ألقى فيه .

وصرخ « بيجى » :

- لا تتركنى يا « رالف » !

وفى حرص مثير للسخرية طوق الصخرة وصعد عليها فوق البحر

الممتص للماء ، وأصبحت ضحكات المتوحشين المكتومة تعليقات ساخرة عالية .

وصاح « جاك » بصوت يعلو على صوت الضوضاء .

– عليك بالانصراف بعيداً يا « رالف » . عليك بالالتزام بحدود المكان الخاص بك ، أما هذا المكان فهو خاص بى وقبيلتى ، ويجب أن تتركنى وشأنى .

فتلاشت الضحكات الساخرة .

فقال « رالف » لاهثاً :

– أنت سرقت نظارة « بيجى » وينبغى لك إعادتها إليه .

– ينبغى لى ؟ ومن أنت حتى تتكلم بهذا الكلام ؟

فاشتعلت انفعالات « رالف » وازدادت حدة .

– إننى أقول لك إنك قد أدليت بصوتك وانتخبتنى رئيساً . . ألم تسمع المحارة ؟ لقد لعبت لعبة قذرة ، وكنا على استعداد لتزويدك بالنيران التى تريدها إذا طلبت منا ذلك .

وكانت الدماء تتدفق إلى خديه وخفقت العين المصابة بكدمة :

– كان باستطاعتك الحصول على النيران فى أى وقت تشاء ، ولكنك لم تفعل ذلك ؛ لأنك جئت متسللاً مثل اللص وسرقت نظارة « بيجى » .

– قل لى هذا الكلام مرة أخرى .

– أنت لص . . لص .

فصرخ « بيجى » :

– قدر ظروفى يا « رالف » .

فاندفع « جاك » ليطعن صدر « رالف » برمحه ، ولكن « رالف » كان يحس بوضع السلاح عندما لمح ذراع « جاك » وتفادى الضربة باستخدام مقبض رمحه ، ثم أدار رمحه وحاول طعن « جاك » بجوار أذنه ، وتلاحما وجهاً لوجه ، وراحا يلهثان فى وحشية ، ويتدافعان ، ويحملق أحدهما فى الآخر فى غضب مستطير .

– من هو اللص ؟

– أنت .

وتلوى « جاك » محرراً نفسه وسدد ضربة إلى « رالف » برمحه . . وأصبحا يستخدمان رمحيهما مثل سيوف المبارزة على نحو لا يفضى إلى الموت ، وكأن ذلك قد تم من خلال موافقة مشتركة بينهما ، وأصابت ضربة رمح « رالف » فانزلق من يده ووقع على أصابعه مصابا بآلام مروعة ، ثم تباعدا أحدهما عن الآخر مرة أخرى ، وأصبحت أماكنهما معكوسة : أصبح « جاك » فى اتجاه صخرة القلعة ، وأصبح « رالف » فى الناحية الخارجية تجاه الجزيرة . . وكان كلا الولدين يتنفس بصعوبة بالغة .

– هيا إذن !

– أَقْبِلْ . . تعال !

وفى وحشية ضارية اتخذ كل منهما الوضع القتالى ، ولكن كلا منهما حرص على وجود مسافة كافية بينه وبين الآخرين .

– اقتربْ منى وسألقنك درساً قاسياً .

– اقترب أنت .

وأنشب « بيجى » أظافره فى الأرض ، لأنه كان يحاول جذب انتباه «رالف» ، فتحرك « رالف » وانحنى لأسفل ناظراً إلى « جاك » فى حذر فى الوقت نفسه .

- يا « رالف » : لا تنسَ الهدف الذى جئنا من أجله إلى هنا ، لقد جئنا من أجل النيران ومن أجل نظارتى .

فأومأ « رالف » برأسه . وأرخى عضلاته المقاتلة ووقف فى سلاسة واسترخاء ، ووضع مقبض رمحه على الأرض . . وراح « جاك » يرقبه فى شىء من الغموض من خلال الطلاء الذى يعلو جسده . وأخذ « رالف » ينظر لأعلى نحو القمم العالية ، ثم نظر إلى مجموعة الأولاد الهمجيين المتوحشين .

- استمعوا إلى . لقد جئنا إلى هنا لنقول لكم : أولا : ينبغى على «جاك» إعادة نظارة « بيجى » . فهو لا يستطيع الرؤية بدون نظارة . وأنتم لا تلتزمون بالقواعد والقوانين ، وتتصرفون بطريقة غير مشرفة . .

فضحكت قبيلة المتوحشين المدهونين فى قهقهة عالية ، وتداعى عقل «رالف » ودفع شعره لأعلى ، وحملق فى القناع الأخضر والأسود الماثل أمامه محاولاً تذكر الشكل الحقيقى لـ « جاك » .

وهمس « بيجى » :

- ولا تنس النيران .

- أوه ، نعم . . وفيما يتعلق بالنيران فإننى أقول لكم مرة أخرى هذا القول ، ولقد حرصت على تكرار ذلك القول منذ أن أسقطنا فى هذا المكان .

ولوح برمحه وأشار إلى المتوحشين :

- إن الأمل الوحيد الماثل أمامكم يرتكز على الإبقاء على نيران الإشارة

مشتعلة باستمرار طول فترات ضوء النهار . فلربما تلاحظ سفينة ما الدخان فتأتى ؛ لتنقذ حياتنا وتنقلنا إلى وطننا ، ولكننا بدون هذه النيران سنضطر للانتظار إلى أن تجىء سفينة ما بطريقة المصادفة ، وقد نظل منتظرين لسنوات طويلة إلى أن نصبح طاعنين فى السن . .

فتناثر الضحك المرتعد الفضى الرنين غير الحقيقى من المتوحشين ، وترددت أصداؤه بعيداً ، واهتز « رالف » فى موجة من الغضب الفجائى . وأصبح صوته أجش .

– ألا تفهمون أيها المغفلون المدهونون بالطلاء ؟ إن « سام » و « إريك » و« بيجى » و « أنا » – هذا العدد الضئيل لا يكفى لإشعال النيران بصفة مستمرة . ولقد حاولنا الإبقاء على النيران مشتعلة باستمرار ، وفشلنا فى ذلك . . وهأنتم أولاء تلهون بأعمال الصيد . .

وأشار إلى ما وراءهم ، حيث تتبعثر كميات ضئيلة للغاية من الدخان فى الهواء .

– انظروا إلى ذلك الدخان ! أتسمون هذه نيراناً للإشارة ؟ هذه ليست سوى نيران ضئيلة للطهى . والآن فأنتم ستأكلون ، وبعدئذ لن يكون هناك دخان ، ألا تفهمون ؟ فقد تمر سفينة هنالك فى عرض البحر . .

وتوقف عن الكلام ، وشعر بالإحباط بسبب الصمت وتنكر المجموعة التى تحرص المدخل وراء ستار من الطلاء والدهانات . وفتح « جاك » فماً وردى اللون ، ووجه كلامه إلى « سام » و « إريك » اللذين كانا يقفان بينه وبين هذه القبيلة :

– أنتما الاثنان ارجعا إلى الوراء !

فلم يَرُدَّا عليه . وشعر « التوءمان » بالحيرة ، وراحا ينظر كل منهما إلى زميله ، فى حين وقف « بيجى » فى حَذَر بعد أن عادت الطمأنينة إليه عقب توقف أعمال العنف . وحملق « جاك » فى « رالف » ثم انتقل ببصره وحملق فى « التوءمين » :

– أمسكوا بهما !

فلم يتحرك . . فصرخ « جاك » فى غضب :

– قلت لكم : أمسكوا بهما .

فتحركت المجموعة المدهونة بالطلاء حول « سام » و « إريك » فى عصبية وبدون مهارة فى استخدام اليدين . ومرة أخرى تناثرت الضحكات وأصبح «سام » و « إريك » من منطلق قلب الحضارة :

– أوه ! لقد أصدرت أوامرى بأمانة ، وأخذت الرماح منهما .

– اربطوهما !

وصاح « رالف » فى يأس فى مواجهة القناع الأسود والأخضر :

– جاك !

– استمروا . . اربطوهما .

وشعرت المجموعة المدهونة بالطلاء بأن « سام » و « إريك » أصبحا شيئاً آخر مختلفاً عن ذى قبل ، وشعرت بالسلطة متركزة فى أيديها هى ، وراحوا يضربون « التوءمين » فى وحشية ، وكانت ضرباتهم تتسم بالارتباك والإثارة . وهبط الإلهام على « جاك » . فأدرك أن « رالف » سيحاول القيام بأعمال الإنقاذ فطوقه من الخلف وتفادى « رالف » الضربة القاتلة فى الوقت

المناسب ، ووراءهما كانت القبيلة . . و « التوءمان » بمثابة كومة متصارعة متصايحة بصوت مرتفع ، فجثم « بيجى » مرة أخرى ، وبعدئذ أصبح «التوءمان » مطروحين على الأرض وقد اعترتهما دهشة بالغة ، وكانت القبيلة تقف حولهما . واستدار « جاك » نحو « رالف » وتكلم من بين أسنانه :

– أترى ؟ إنهم ينفذون أوامرى .

وساد الصمت مرة أخرى . وكان « التوءمان » مطروحين على الأرض ومربوطين بطَريقة غير فنية ، وراحت القبيلة ترقب « رالف » لمعرفة ما سيفعله . وراح « رالف » يحصى عددهم من خلال أهدابه ، ولمح الدخان غير الفعال بنظرة خاطفة .

فتفجر الغضب فى داخله وصرخ فى وجه « جاك » :

– أنت متوحش ، ودموى ، وخنزير ، وجدير بالازدراء ، ولص دموى !

وقام بالهجوم .

وهجم « جاك » هو الآخر وهو يدرك أن الأزمة قد وصلت إلى ذروتها ، وتقابلا بحركة سريعة فجائية ، وسدَّدكل منهما اللكمات العنيفة للآخر ، ثم قفزا متباعدين . وبعدئذ وجه « جاك » لكمة قوية بجماع يده إلى « رالف » فوصلت اللكمة إلى أذنه . فسدد « رالف » ضربة فى بطن « جاك » جعلته ينخر ويشخر كالخنزير . ثم بدأ يواجه كل منهما الآخر ، وهما يلهثان ويموجان بالغضب والانفعال ، غير أن كلا منهما لم يفقد شجاعته بسبب وحشية الآخر . وبدأا يدركان تلك الضجة والضوضاء التى أصبحت بمثابة الخلفية الموسيقية لهذا القتال ، إذ كان هناك هتاف حاد مستمر من جانب القبيلة التى تشاهد الموقف خلفها . وشق صوت « بيجى » طريقه إلى أذن «رالف » .

– دعنى أتكلم .

وكان بيجى واقفاً وسط غبار المعركة ، وعندما أدركت القبيلة ما يهدف إليه « بيجى » تحول الهتاف الحاد إلى أصوات ازدراء واستهجان منتظمة .

وأمسك « بيجى » بالمحارة ، فهبطت أصوات الازدراء بعض الشىء ، ثم ارتفعت فى تزايد مرة أخرى .

– المحارة فى يدى .

وصرخ فى حدة .

– أقول لكم : إن المحارة فى يدى .

وعندئذ ساد الصمت على نحو يدعو للدهشة ، وكانت القبيلة متلهفة لسماع ما يمكن أن يقوله من كلام مثير للتسلية .

وساد الترقب أيضاً ، ولكن الصمت كان يتخلله صوت هوائى يمر بجوار رأس « رالف » ، فأعطى ذلك الصوت قدراً من الانتباه – فسمعه مرة أخرى : صوت ضعيف « ظب ZUP » ، كان هناك شخص ما يلقى بالحجارة ، وكان « روجر » هو الذى يلقى بالحجارة . فى حين كانت إحدى يديه لا تزال موضوعة فوق العتلة الخشبية ، وأسفله كان « رالف » بمثابة كومة من الشعر ، كما كان « بيجى » بمثابة كيس من الدهنيات .

إننى ممسك بالمحارة لأقول لكم إنكم تتصرفون مثل زمرة أو شلة من الأطفال الصغار .

فتصاعدت أصوات الازدراء والاستهجان ، وتلاشت مرة أخرى ، وكان « بيجى » يرفع لأعلى الصدفة البيضاء الجميلة .

– أيهما أفضل : أن تكونوا مجموعة من الهنود المدهونى الأجساد بالطلاء مثلما أنتم عليه الآن ، أو أن تكونوا أناساً معقولين مثل « رالف » ؟

فتصاعد ضجيج هائل بين المتوحشين . فصرخ « بيجى » مرة أخرى :

– ما الأفضل : أن تكون لدينا قواعد ولوائح وقوانين والاتفاق على مبدأ واحد ، أو أن نلجأ إلى الصيد والقتل ؟

فتصاعد الضجيج مرة أخرى ، وتزايد صوت « الظبZUP » فصاح «رالف » فى وجه الضجيج :

– ما هو الأفضل : القانون وإنقاذ حياتنا أو الصيد وتحطيم القوانين ؟

وهنا بدأ « جاك » يصرخ ويولول هو الآخر ، ولم يعد باستطاعة « رالف » توصيل كلامه إلى الناس ، وكان « جاك » قد رجع إلى اليمين فى مواجهة القبيلة ، فأصبحوا كتلة صلدة من التهديد مزودة بالرماح ، وكانت نية القيام بهجوم تتشكل فيما بينهم ، وكانوا يخططون لشن الهجوم ، حيث كانوا يرغبون فى تطهير العنق والإحاطة به ، ووقف « رالف » فى مواجهتهم ، وكان يقف على جانب بعض الشىء ، وقد استعد برمحه ، وإلى جواره كان «بيجى» مازال ممسكاً بالتعويذة . . كان ممسكاً بالمحارة اللامعة الجميلة .

وهجمت عاصفة الصوت فى عنف عليهما مثل تعويذة من الكراهية والبغضاء ، ومن المكان المرتفع فوقهما استند « روجر » بكل قوته على العتلة الخشبية وقد تملكه إحساس بالاستهتار الممزوج بالهلوسة والهذيان .

وسمع « رالف » الصخرة الهائلة قبل أن يراها بلحظات طويلة ، وكان مدركاً للاهتزاز العنيف فى الأرض الذى ترامى إليه من خلال أخمص قدميه ، كما كان مدركاً لصوت تحطم الحجارة فوق قمة المنحدر الصخرى الشاهق .

وبعدئذ قفز ذلك الشىء الأحمر الضخم البشع الفظيع عبر العنق، وألقى بنفسه فى وضع مستوٍ ، فى حين كانت القبيلة تصرخ صرخات مدوية .

وضربت الصخرة « بيجى » ضربة سطحية مائلة ، ابتداءً من ذقنه حتى ركبته ، فانفجرت المحارة وتحطمت إلى آلاف من القطع الصغيرة ، ولم يعد لها كيان على الإطلاق ، ولم يقل « بيجى » شيئاً ، ولم تصدر عنه أية زمجرة ؛ إذ لم يكن هناك وقت لكى يزمجر ، حيث طار على الفور فى الهواء منحرفاً عن الصخرة ومنقلباً أثناء طيرانه . ووثبت الصخرة مرتين وضاعت فى غياهب الغابة ، وسقط « بيجى » على مسافة أربعين قدماً ، واستقر على ظهره عبر الصخرة الحمراء المربعة الموجودة فى البحر . فشج رأسه وخرج منه بعض المواد ، واكتسى الرأس باللون الأحمر ، واختلجت ذراعا « بيجى » وساقه قليلاً مثل اختلاج الخنزير عنب ذبحه ، وبعدئذ تنفس البحر مرة أخرى فى تنهيدة طويلة بطيئة . وعندما تراجعت المياه فى امتصاص مرة أخرى كان جسد « بيجى » قد ولى إلى غير رجعة !

وفى هذه المرة كان الصمت شديداً ومطبقاً . وتحركت شفتا « رالف » فكونت كلمة ، ولكن لم يصدر عنه أى صوت .

وفجأة قفز « جاك » خارجاً من بين القبيلة وبدأ فى الصراخ فى وحشية .

– أرأيت ما حدث ؟ هل شاهدت ما حدث ؟ وهذا هو مصيرك أيضاً ، وهذه هى خطتى ، فأنا أهدف إلى ذلك ، لم يعد لديك قبيلة تحميك . والمحارة قد تحطمت وانتهت إلى الأبد ..

وجرى فى انحناء مندفعاً للأمام :

– أنا الرئيس .

وقذف رمحه تجاه « رالف » فى شر مستطير وتصميم كامل ، فمزق سن الرمح الجلد واللحم فى ضلوع « رالف » ثم انحرف الرمح وسقط فى مياه البحر . وتعثر « رالف » ولم يشعر بالألم ، ولكنه أحس بالهلع والذعر الشديدين . وانخرطت القبيلة فى الصراخ مثل رئيسها ، وبدأت تتقدم للأمام، وطار رمح آخر ملتوٍ فى خط غير مستقيم ومر بجوار وجه « رالف» ، وسقط رمح آخر صادرٍ من المكان المرتفع الذى يجلس فيه « روجر » وكان «التوءمان » مستلقيين فى تخف وراء القبيلة ، وراحت وجوه الشياطين المجهولى الهوية تحتشد عبر العنق ، فاستدار « رالف » وانطلق هارباً . وتصاعدت وراءه ضجة عالية كأنها صادرة عن النورس البحرى . وأطاع غريزة لم يكن يعرف أنه يمتلكها ، وانحرف فوق الفضاء المكشوف ، حتى إن الرماح انطلقت بعيداً عن الهدف . وشاهد جسد الخنزيرة المفصولة الرأس ، وقفز فوقها فى الوقت المناسب ، وبعدئذ شق طريقه فى جلبة صاخبة فى داخل الأوراق والنباتات والأغصان الصغيرة ، وأصبح متخفياً بين غياهب الغابة

ووجد الرئيس نفسه يتوقف عند الخنزيرة ، فاستدار ورفع يديه .

- ارجعوا . . ارجعو إلى القلعة !

وعلى الفور عادت القبيلة فى صخب إلى العنق ، حيث انضم إليهم «روجر » فتكلم الرئيس معه فى غضب :

- لماذا تركت الحراسة ؟

فنظر « روجر » إليه فى وقار وقال :

- لقد هبطت فقط إلى أسفل .

وتحلق حوله رعب الجلادين . . ولم يقل الرئيس له أى كلام آخر ، ولكنه نظر لأسفل نحو « سام » و « إريك » .

– ينبغى لكما الانضمام إلى القبيلة .

– دعنى أنصرف .

– وأنا .

فاختطف الرئيس أحد الرماح القليلة المتبقية ، وضرب به « سام » فى ضلوعه .

وقال الرئيس فى وحشية :

– ماذا تعنى ؟ هيه ؟

– وما معنى مجيئكم بالرماح ؟ وماذا تعنى بعدم الانضمام إلى قبيلتى .

وأصبح الوخز والنخس متكرراً على إيقاع منتظم . . فاحتج « سام » صارخا بصوت مرتفع :

– ليست هذه هى الوسيلة الصحيحة .

وتقدم « روجر » متخطياً الرئيس ، ومتجنباً دَفْعَهُ بكتفه ، حيث كان قريبًا وتقدم للغاية من الرئيس أثناء تقدمه . وتوقف صراخ « سام » ، وكان « سام » و« إريك » مطروحين على الأرض ، وكانا ينظران لأعلى فى رعب هادىء، وتقدم « روجر » نحوهما كشخص يستخدم سلطة قبيحة لا يمكن وصفها .



الفصل الثاني عشر



صيحة الصيادين

واستلقى «رالف» فى مخبأ وأخذ يتعجب من جراحه ، وكانت الكدمة الزرقاء فى اللحم يصل قطرها بضع بوصات فوق ضلعه الأيمن ، كما كانت هناك ندبة غائرة دموية متورمة فى المكان الذى طعنه الرمح فيه . وكان شعره مملوءاً بالقذارة وملولباً من الداخل ، مثل الأجزاء اللولبية فى النباتات المتسلقة، وتعرض جسده كله للخدش والكدمات ، نتيجة لهربه وتدافعه فى عمق الغابة . وعندما أصبح تنفسه طبيعياً مرة أخرى استقر رأيه على ضرورة تأجيل غسل جروحه بالمياه ؛ إذ كيف يستطيع المرء أن يصغى لأصوات الأقدام العارية إذا كان هو مندمجاً فى الطرطشة فى الماء ؟ وكيف يستطيع المرء أن يشعر بالأمن والأمان وهو موجود بجوار المجرى المائى الصغير ، أو على «البلاج» المكشوف ؟

وراح « رالف » يرهف السمع ، إنه لم يكن بعيداً بالفعل عن صخرة القلعة ، وأثناء الفزع والهلع الأول كان قد اعتقد أنه سمع أصوات اقتفاء أثره، غير إن الصيادين كانوا قد اكتفوا بالتسلل إلى الأهداب الخارجية للنباتات الخضراء ، وربما أخذوا يصلحون الرماح ، وبعدئذ اندفعوا عائدين إلى الصخرة المشمسة كما لو كانوا خائفين من الظلام الموجود تحت أوراق الشجر . وكان قد لمح واحداً منهم مدهوناً باللون الأسود والبنى والأحمر ،

وخيل إليه أن ذلك الولد هو بيل **Bill** وكانت هذه صورة ولد متوحش رفضت صورته الاندماج مع تلك الصورة القديمة لولد يرتدى القميص والبنطلون القصير .

وتلاشت فترة ما بعد الظهيرة ، وتحركت بقع ضوء الشمس المستديرة بانتظام فوق سعف النخيل ، وأوراق السرخس الخضراء ، وفوق الليف البنى للنباتات ، ولكن لم تترامَ أية أصوات من خلف الصخرة . وأخيراً تسلل « رالف » خارجاً كالدودة من بين نباتات السرخس ، ثم تسلل خارجاً للأمام نحو حافة تلك الأجمة التى لا يمكن اختراقها ، والتى تواجه عنق الأراضى ، وحملق فى حذر شديد بين الأغصان فى الحافة ، فشاهد « روبرت» جالساً للحراسة فوق قمة المنحدر الصخرى الشاهق ، وكان ممسكاً برمح فى يده اليسرى ، وكان يلقى بحصوة لأعلى بيده اليمنى ثم يلتقطها مرة أخرى .
وخلفه كان هناك عمود من الدخان يتصاعد فى كثافة لأعلى ، حتى إن فتحتى أنف « رالف » اتسعتا ، وسال اللعاب من فمه ، ومسح « رالف » أنفه وفمه بظهر يده ، وبدأ يشعر بالجوع لأول مرة منذ ذلك الصباح ، لابد أن القبيلة تجلس حول الخنزيرة المنزوعة الأحشاء وترقب الشحوم والدهون وهى تنز وتحترق بين الرماد ، إنهم منهمكون قطعاً فى تناول الطعام .

وظهر هيكل آخر يصعب التعرف على شخصيته بجوار « روبرت » وأعطاه شيئاً ما ، ثم استدار ورجع إلى خلف الصخرة ، ووضع « روبرت » رمحه على الصخرة بجواره وبدأ يقضم بين يديه المرفوعتين ، وهذا يعنى أن الوليمة قد بدأت بالفعل ، وأن الحارس قد أُعطى نصيبه .

وعندئذ أدرك « رالف » أنه آمن فى سلام بشكل مؤقت ، فأخذ يعرج

مبتعداً بين أشجار الفواكه ، وعندما تذكر الوليمة أدرك أنه يتناول طعاماً عادياً ، بل طعاماً مراً . . الوليمة اليوم وبعدئذ غداً . .

وراح يناقش نفسه فى اقتناع بأنهم قد يتركونه وشأنه ، بل قد يحرمون قتله ، ولكن الإدراك الواقعى الشديد عاد إليه مرة أخرى ، وكان تحطيم المحارة وقتل « بيجى » و « سيمون » يجثم فوق الجزيرة مثل الضباب ، فهؤلاء المتوحشون المدهونون بالطلاء قد يتمادون أكثر وأكثر ، وبعدئذ كانت هناك تلك الرابطة التى يتعذر تحديدها وتعريفها بينه وبين « جاك » ؛ ولذلك لن يتركه « جاك » وشأنه على الإطلاق .

وتوقف وقد برقشته الشمس بالبقع ، وكان ممسكاً بغصن كبير ، وكان مستعداً للتوارى تحت ذلك الغصن لكيلا أحد يراه ، وتملكته نوبة من الرعب جعلته يرتعد ويرتجف ، فصاح بصوت مرتفع .

– لا . إنهم ليسوا سيئين على هذا النحو ، وما حدث كان مجرد حادثة .

وتوارى بسرعة تحت الغصن الكبير المملوء بالأوراق ، وجرى فى ارتباك ، وبعدئذ توقف وراح يرهف السمع .

ووصل إلى الفدادين المهشمة التى تضم أشجار الفاكهة ، وأخذ يأكل فى شراهة بالغة . وشاهد طفلين صغيرين ، ونظراً لأنه لم تكن لديه أى فكرة عن منظره البشع فإنه تعجب عندما صرخ الأولاد ولاذوا بالفرار بمجرد أن شاهدوه .

وبعد أن فرغ من تناول الطعام سار تجاه « البلاج » وكان ضوء الشمس يميل آنئذ نحو أشجار النخيل القريبة من الأكواخ المحطمة . وكانت هناك بركة الاستحمام والرصيف ، وكان أفضل شىء يمكن عمله هو أن يتجاهل

أحاسيس الكآبة الجاثمة على قلبه ، ويعتمد على إدراكهم السليم ورجاحة عقلهم وسلامة عقلهم تحت ضوء النهار ، وطالما أن القبيلة قد فرغت من تناول طعامها فإن عليه أن يحاول معها مرة أخرى . وعلى كل حال فهو لم يكن باستطاعته البقاء طوال الليل فى كوخ شاغر بجوار الرصيف المهجور ، واقشعر جسده وبدأ يرتعد تحت شمس المساء . لا نيران ، لا دخان ، لا إنقاذ ، فاستدار وأخذ يعرج مخترقاً الغابة ومتجهاً نحو المكان الخاص بـ «جاك» فى الجزيرة .

وكانت العِصى المائلة لضوء الشمس تضيع معالمها بين الأغصان ، وأخيراً وصل إلى مكان مكشوف بالغابة ، حيث كانت الأرض صخرية ، مما حال دون نمو النباتات ، وكان هذا المكان فى تلك الآونة بمثابة بركة من الظلال ، وكاد « رالف » يلقى بنفسه خلف إحدى الأشجار عندما شاهد شيئاً ما واقفاً فى منتصف هذا المكان ، ولكنه أدرك عندئذ أن الوجه الأبيض كان عظاماً ، وأن جمجمة الخنزيرة كانت تبتسم له من فوق قمة العصا . . فسار فى بطء نحو منتصف المكان المكشوف ، ونظر نظرات ثاقبة إلى الجمجمة التى تلمع وتتلألأ بلونها الأبيض مثلما كانت المحارة تلمع ، وبدت الجمجمة وكأنها تسخر منه بشكل يثير الشكوك فى طبيعة الدوافع البشرية . . وشاهد نملة فضولية ميالة للبحث والتحقيق ، وقد انهمكت فى التجول فى تجويف إحدى العينين ، وكان ذلك الشيء فاقد الحياة .

وسرت فى ظهره وخزات قليلة من الإحساس ، فتوقف ، وكانت الجمجمة على نفس المستوى مع وجهه تقريباً ، ورفع شعره بكلتا يديه . وابتسمت الأسنان ، وبدا تجويفا العينين الشاغران وكأنهما يتلقيان حملقته بطريقة بارعة ، ويدون أى جهد .

وماذا كان ذلك الشيء ؟

لقد كانت الجمجمة ترقب « رالف » مثل الشخص الذى يعرف جميع الإجابات ، ولكنه يرفض التكلم . واجتاحه الخوف المريض والغضب . وضرب فى وحشية ذلك الشىء الكريه الماثل أمامه ، فتراجع للخلف مثل لعبة الأطفال ، وعاد مرة أخرى وهو لا يزال يبتسم فى وجهه ، حتى إنه اهتز فى عنف وصاح فى نفور واشمئزاز شديدين . وبعدئذ راح يلعق المفاصل بين سلاميات أصابعه التى أصيبت بالكدمات ، وأخذ ينظر إلى العصا العارية حيث انفلقت الجمجمة إلى شطرين ، وأصبحت الابتسامة حينئذ ممتدة لمسافة ست أقدام ، واقتلع العصا المرتعشة من الشرخ ، وأمسك بها مثل رمح يحول بينه وبين القطع البيضاء ، وبعدئذ تراجع بظهره إلى الخلف وهو لايزال ينظر إلى الجمجمة التى استلقت على الأرض واتجهت بابتسامتها نحو السماء .

وبعد أن تلاشى التوهج الأخضر وزال عن الأفق واكتمل الليل تماماً ، وصل « رالف » مرة أخرى إلى الأيكة التى تواجه صخرة القلعة ، فراح يحملق من خلال الأيكة ، وأدرك أن القمة مازالت تعج بالناس ، وكان كل فرد منهم معه رمحه وعلى أهبة الاستعداد .

وركع بين الظلام ، واجتاحته مشاعر الوحدة المريرة ، صحيح أنهم أناس متوحشون همجيون ، غير أنهم كانوا آدميين ، وبدأت تزحف عليه مخاوف الليل البهيم المتربصة به .

وتوجع « رالف » فى أنين خافت ، وبرغم أنه كان يشعر بالإرهاق فإنه لم يستطع اللجوء إلى الاسترخاء والسقوط فى بئر من النوم العميق بسبب خوفه

من القبيلة ، أليس من الممكن أن يسير بشجاعة إلى القلعة ويقول لهم :

السلام عليكم ، ويضحك معهم قليلاً وينام بين الآخرين ؟ وهل يدعى أنهم مازالوا أولاداً . . أولاد مدارس بحيث يردون عليه قائلين :

- نعم يا سيدى ، نعم .

وهم يضعون القبعات على رءوسهم . لو كان الوقت بالنهار لكانت الإجابة عن هذا التساؤل هى :

- نعم .

ولكن الظلام ومخاوف الموت المرعبة حددت الإجابة :

- لا .

وكان يدرك أن الاستلقاء هنالك فى الظلام وحيداً معناه أنه منبوذ من المجتمع .

- كل هذا الذى حدث سببه أننى أتميز عنهم ببعض الإدراك السليم . ومسح خده على ساعده وهو يشم الرائحة الحريفة للملح والعرق والبول والقاذورات . وإلى جهة اليسار كانت أمواج المحيط تتنفس وتتراجع فى امتصاص لأسفل ، وبعدئذ تغلى عائدة فوق الصخرة .

وكانت هناك أصوات آتية من وراء صخرة القلعة ، فأخذ « رالف » يصغى بانتباه وحرص وهو يفصل ذهنه عن الإيقاع المطرد للبحر ، فاستطاع أن يتبين إيقاعاً مألوفاً له :

- اقتلوا الوحش ! اقطعوا رقبته ! اسفكوا دماءه !

لقد كانت القبيلة منهمكة فى الرقص ، وفى مكان ما على الجانب الآخر لهذا الحائط الصخرى ستكون هناك حلقة مظلمة ونيران متوهجة ولحوم مشوية ، ولسوف يستمتعون بالطعام والراحة والأمن . .

وارتعد عندما ترامى إلى سمعه أصوات أكثر اقتراباً ، فقد كان المتوحشون يتسلقون صخرة القلعة إلى قنتها مباشرة ، وكان بمقدوره سماع أصواتهم ، فتسلل إلى الأمام لمسافة ياردات قليلة ، وشاهد الشكل عند قمة الصخرة يتغير ويتوسع ، ولم يمكث على الجزيرة سوى ولدين فقط كانا يتحركان أو يتكلمان على ذلك النحو .

ومال « رالف » برأسه على ساعديه وتقبل هذه الحقيقة الجديدة كأنها جرح ، إذن لقد أصبح « سام » و « إريك » جزءاً من القبيلة ، فقد كانا يحرسان صخرة القلعة لكيلا يقترب هو منها ، ولم تكن هناك فرصة لإنقاذهما وتكوين قبيلة أخرى طريدة عند الجانب الآخر للجزيرة ، فقد كان « سام » و « إريك » متوحشين مثل باقى الأولاد ، أما « بيجى » فإنه قد مات ، كما أن المحارة قد تهشمت وتحولت إلى مسحوق .

وأخيراً هبط الحراس ، وبدا الحارسان اللذان بقيا كأنهما امتداد مظلم للصخرة ، وظهر نجم خلفها ، وكان يتعرض للخسوف فى أية لحظة بسبب أى حركة .

وتقدم « رالف » تدريجياً للأمام متحسسا طريقه فوق السطح غير المستوى كما لو كان أعمى . وكانت هناك أميال من المياه الغامضة تقع على يمينه ، وكان المحيط الهادر يقع على يساره ، وكان مخيفاً مثل فوهة حفرة كبيرة ، وفى كل لحظة كانت المياه تتنفس حول صخرة الموت ، وتتحول إلى

حقل من الزهور البيضاء ، وراح « رالف » يزحف إلى أن أمسكت يده بحافة المدخل ، وكان الحارسان فوقه مباشرة ، وتمكن من مشاهدة طرف رمح ناتيء فوق الصخرة .

فنادى بصوت منخفض للغاية :

- « سام » . . « إريك » . .

فلم يتلق رداً . . إذَنْ عليه أن يرفع صوته قليلا حتى يصل إليهما ، ولكنه إذا رفع صوته يثير انتباه تلك المخلوقات المعادية المخططة بالألوان التى تتناول وليمة اللحوم بجوار النيران ، فكز على أسنانه ، وبدأ فى التسلق ، وتحسس الأماكن التى يمسك بها أثناء التسلق ، وأعاقته تلك العصا التى كانت تستند عليها الجمجمة ، ولكنه قرر عدم التخلص من سلاحه على الإطلاق ، وأصبح أخيراً فى نفس مستوى « التوءمين » تقريباً ، فتكلم مرة أخرى .

- « سام » . « إريك » . .

فسمع صيحة وهياجاً عصبياً آتيا من الصخرة . وكان التوءمان قد أمسك كل منهما بالآخر ، وراحا يهذيان :

- أنا « رالف » . . . أنا « رالف » .

وحل بهما الرعب الشديد حتى إنهما لم يتمكنا من الجرى وتنبيه الآخرين ، فرفع « رالف » نفسه لأعلى إلى أن التصق رأسه وكتفاه فوق قمة الصخرة .

- لست سوى « رالف » . . أنا « رالف » .

فانحنيا أخيراً للأمام ، وراحا يحملقان فى وجهه :

- لقد اعتقدنا . .

- لم نكن نعرف . .

- لقد اعتقدنا . .

وهبطت عليهما ذكرى ولائهما الجديد المخجل ، فالتزم « إريك » بالصمت . ولكن « سام » حاول تنفيذ الواجب الملقى عليه :

- ينبغي أن تذهب يا « رالف » انصرف الآن على الفور .

وحرك رمحه وظهرت عليه دلائل الوحشية :

- ارحل على الفور ، أتفهمنى ؟ .

وهز « إريك » رأسه موافقاً على ذلك ، وطعن برمحه فى الهواء . .

فاستند « رالف » على ذراعيه ، ولم ينصرف .

- لقد جئت لمقابلتكما أنتما الاثنين وكان صوته خشناً ، وكان حلقه يؤلمه فى تلك الآونة برغم ، أنه لم يصب بأية جراح .

- لقد جئت من أجل رؤيتكما .

ولم تستطع الكلمات التعبير عن الآلام الغامضة التى تكتنف مثل هذه الأمور ، فلاذ بالصمت .

وتحرك « سام » فى قلق :

- أقول لك بكل أمانة يا « رالف » إنه يحسن بك أن تذهب ، فنظر «رالف» لأعلى مرة أخرى .

- أنتما الاثنان شخصان غير مدهونين بالطلاء . . فكيف يمكنكما . . ؟ لو كنا الآن فى ضوء النهار .

لو كان ضوء النهار ساطعاً لكان العار قد حرقهما لدى إقرارهما لهذه الأمور ، ولكن الليل كان حالك الظلام ، واتخذ « إريك » موقفاً ، وبعدئذ بدأ « التوءمان » كلاهما التجاوب :

- ينبغى لك أن تذهب ؛ لأن الجو محفوف بالمخاطر .

- لقد عذبونا ، لقد آذونا .

- من ؟ « جاك » .

- أوه . كلا .

وانحنيا نحوه وخَفَّضَا من صوتهما ..

- انصرف يا « رالف » .

- إنها قبيلة . . .

- لم نستطع أن نفعل شيئاً إزاء ذلك الأمر .

وعندما تحدث « رالف » مرة أخرى كان صوته منخفضاً ، وبدا كأنه لاهث الأنفاس .

- ما الذى فعلته أنا ؟ لقد كنت أحبه ، وكل ما هنالك أننى أردت إنقاذ حياتنا جميعاً .

وتناثرت النجوم فى أرجاء السماء مرة أخرى . وهز « إريك » رأسه وقال فى اهتمام :

- استمع إلى يا « رالف » : دعك من تلك الأمور التى تتمشى مع رجاحة العقل ودعك من مسألة الزعامة والرياسة ، وينبغى لك أن

تنصرف؛ فهذا من مصلحتك ، فالرئيس وروجر ، نعم روجر ، إنهما يكرهانك يا « رالف » كرهاً شديدا ، وهما سيعملان على قتلك .

– إنهما سيعملان على اصطيادك غداً .

– ولكن لماذا ؟

– لست أدرى « فالرئيس » جاك « يقول إنه من الخطر . .

– وإنه ينبغى أن نلتزم الدقة ، ونقذف بالرماح مثلما نصوبها على خنزير.

– ولسوف ننتشر فى خط عبر الجزيرة .

– ولسوف نتقدم ابتداء من هذا الطرف إلى أن يتم العثور عليك .

– ولسوف نعطى إشارات على هذا النحو .

ورفع « إريك » رأسه وأصدر صوتاً كالولولة بأن راح يضرب على فمه المفتوح ، ولكنه حرص على أن تكون الولولة بصوت خافت ، وبعدئذ ألقى نظرة خاطفة وراءه فى عصبية .

– على ذلك النحو . .

– ولكنها ستكون بالطبع أكثر ارتفاعاً .

فهمس « رالف » فى إلحاح :

– ولكنى لم أفعل شيئاً . . كل ما هنالك أننى أردت الإبقاء على النيران مشتعلة .

وتوقف للحظات وراح يفكر فى الغد وقد اجتاحته مشاعر البؤس والشقاء وهبط عليه نوع من الشعور بالأهمية البالغة .

ومن أنتم ؟

ولم يستطع أن يضع نفسه فى إطار محدد فى بادىء الأمر ، ولكن مشاعر الوحدة والخوف لسعته .

– وماذا سيفعلون بى عندما يجدوننى ؟

فالتزم « التوءمان » بالصمت ، وازدانت صخرة الموت بالأزهار مرة أخرى .

– ماذا سيفعلون هم ؟ أوه ! يا إلهى ! إننى أشعر بالجوع .

وبدت الصخرة الشاهقة وكأنها تترنح تحته .

– حسناً . . ماذا ؟ .

فرد « التوءمان » على تساؤله بطريقة غير مباشرة .

– ينبغى لك أن تنصرف الآن يا « رالف » ؟

– وهذا سيكون فى صالحك .

– واحرص على الابتعاد . . على أبعد مسافة ممكنة .

– ألن تجيئا معى ؟ سنكون ثلاثة أشخاص . فقد يحالفنا الحظ .

وبعد لحظات من الصمت تكلم « سام » بصوت مخنوق :

– أنت لا تعرف « روجر » تماماً ، فهو شيطان وإرهابى ودموى . .

– وكذلك الرئيس . . هأنتما الاثنان . . دمويان ، ومثيران للرعب .

وتجمد كلا الولدين من الخوف ، فقد كان هناك شخص ما من أفراد القبيلة يصعد ويتسلق نحوهما .

– إنه قادم إلينا ليرى بنفسه ما إذا كنا نقوم بأعمال الحراسة ، أسرع يا «رالف » ؟

وبينما كان « رالف » يعد نفسه للنزول على المنحدر الصخرى حاول التمسك بالفائدة الأخيرة الممكنة التى يمكن انتزاعها من هذا الاجتماع .

فهمس قائلا :

– سأذهب إلى مكان قريب . . إلى هذه الأدغال الموجودة هنالك ، ولذلك ينبغى لكما إبعادهم عن هذا المكان ، وهم لن يخطر على بالهم مطلقاً أن يبحثوا عنى فى مكان قريب للغاية منهم .

وكان وقع الأقدام مازال على مسافة بعض الشىء . .

– سام ، إننى سأكون على ما يرام ، أليس كذلك ؟

فالتزم « التوءمان » بالصمت مرة أخرى . .

وفجأة قال « سام » :

– خذ هذه .

وشعر « رالف » بكتلة كبيرة من اللحم تدفع نحوه ، فأمسك بها فى تشبث .

– ولكن ماذا ستفعلون عندما تمسكون بى ؟

وساد الصمت فى الأعالى ، وأحس بسخافة سؤاله .

فأنزل نفسه وبدأ يتدلى هابطاً على جنب المنحدر الصخرى .

– ماذا أنتم فاعلون بى عندما ؟

ومن قمة الصخرة الشاهقة ترامت إليه الإجابة الغامضة غير المهمومة :

لقد بَرَى « روجر » عصاً من الطرفين بحيث أصبحت حادة من الطرفين .

لقد سن « روجر » عصاً من كلتا الناحيتين . . وحاول « رالف » أن يجد معنى لهذه العبارة ، ولكنه لم يفلح فى ذلك ، وفى نوبة من العضب استخدم جميع الكلمات السيئة التى يعرفها ، إلا أنْ موجة الغضب أفضت إلى التثاؤب .

كم من الوقت يستطيع الإنسان أن يظل بدون نوم ، وأدرك أنه يتحرق شوقاً إلى سرير وملاءات ، إلا أن اللون الأبيض الوحيد هنا هو اللبن المسفوك المنساب فى بطء المشرق المتألق حول الصخرة التى تقع بالأماكن السفلية على مسافة أربعين قدماً ، حيث سقط « بيجى » . وكان « بيجى » موجودًا فى كل مكان ، وكان فوق العنق ، وأصبح سريعاً فى الظلام والموت . . لو قُدِّرَ لـ « بيجى » الخروج الآن من الماء برأسه الشاغر . . وانخرط «رالف » فى نشيج وبكاء وتثاؤب مثل طفل صغير . وأصبحت العصا بيده بمثابة عكاز يترنح عليه .

ثم توترت أعصابه مرة أخرى ، كانت هناك أصوات تتصاعد فوق قمة قلعة الصخرة . وكان « سام » و « إريك » يتناقشان مع شخص ما . ولكن نباتات السرخس والأعشاب كانت قريبة ، وذلك كان هو المكان الذى ينبغى أن يتوارى فيه مؤقتا ، وبعدئذ يهرع إلى الأدغال حيث يختبىء فيها طوال نهار الغد ، فهذا - ولمست يداه العشب - هو المكان الذى ينبغى أن يقضى فيه الليل ، هو مكان بعيد عن القبيلة بحيث اذا بزغت له المخاوف المرعبة للخوارق الطبيعية فإنه يمكن له الاختلاط مع الآدميين بشكل مؤقت ،

حتى ولو كانت تلك العبارة تعنى . .

ترى ما هو المعنى الذى استتر وراء تلك العبارة ؟

عصاً مبرية من كلا الطرفين ، ترى ما هو المعنى المقصود بذلك القول ؟

لقد سبق أن صوبوا الرماح عليه وأخطأته الرماح ، أخطأته كلها باستثناء رمح واحد ، وربما يحدث نفس الشيء فى المرة القادمة أيضاً .

وقبع جالساً القرفصاء بين العشب الطويل ، وتذكر اللحوم التى أعطاها إياه « سام » فبدأ يمزق فيها ويلتهمها فى نهم وشراهة ، وأثناء تناول طعامه ترامت إلى أذنه أصوات جديدة . . عبارة أصوات تألم صادرة عن « سام » و« إريك » . . صيحات مملوءة بالذعر والهلع والغضب . فما معنى هذا ؟ معناه أن شخصاً آخر بخلافه كان واقعاً فى متاعب ، أو على الأقل كان أحد « التوءمين » يتعرض للمتاعب ، وبعدئذ مرت الأصوات نحو أسفل الصخرة ، وتوقف عن التفكير فيها . وتحسس بيديه فوجد أوراق سرخس رقيقة ورطبة ، وكانت تلك الأوراق مستندة على الأيكة ، وكان هذا المكان هو المأوى الذى سيقضى فيه ليلته . . ووضع فى خطته أن يزحف مع ظهور أول ضوء للنهار إلى عمق الغابة ، ويلوى نفسه بين سيقان الأشجار الملتوية ، ويدفع بنفسه إلى الأعماق ، بحيث لا يستطيع أى إنسان آخر أن يخترق غياهب الغابة وراءه ، اللهم إلا إذا كان شخصاً فى مثل مهارته فى الزحف ، وحتى إذا زحف شخص وراءه فإنه سيتمكن من لكزه برمحه ، ولسوف يجلس هنالك وسيجرى البحث بجواره ، ويمرون بالقرب منه ، ويتعثر الكردون المضروب حوله ، مع الولولة على طول الجزيرة ، ولسوف يظل حراً طليقاً .

وجذب نفسه إلى نباتات السرخس ، وحفر لنفسه نفقاً بينها ، وكوم نفسه مستتراً تحت طيات الظلمة الشديدة . وينبغى له أن يتذكر الاستيقاظ حيث يجب أن يستيقظ مع ظهور أول ضوء للنهار ، وذلك حتى يتمكن من مخادعة المتوحشين . ولم يعرف كيف انجرف إلى النوم بسرعة كبيرة . ولم يعرف كيف تمكن النوم من الإلقاء به فى أعماق منحدر داخلى مظلم .

واستيقظ قبل أن تنفتح عيناه ، حيث كان يصغى لصوت ترامى إليه من مكان قريب . وفتح عيناً واحدة فوجد شيئاً تفوح منه رائحة كريهة على مسافة بوصة أو نحو ذلك من وجهه ، وأمسكت أصابعه بذلك الشيء الذى يتسرب فى بطء بين أوراق نبات السرخس . وأدرك أن الكوابيس المتلاحقة من السقوط والموت قد انتهت ، وأن تباشير الصباح قد أقدمت عندما سمع الصوت مرة أخرى . وكان الصوت بمثابة ولولة مستمرة على شاطىء البحر . . ورد على الولولة المتوحش التالى ، ثم الذى يليه ، ومرت الولولة بسرعة بجواره عبر الطرف الضيق للجزيرة من البحر حتى « اللاجون» مثل صيحة طائر محلق ، فأمسك على الفور عصاه المدببة وسار بطريقة متلوية للخلف بين نباتات السرخس ، وبعد ثوان قليلة كان يشق طريقه كالدودة إلى داخل الأيكة الكثيفة ، ولكن قبل أن يلمح ساقى شخص متوحش يتقدم نحوه . وكانت الأقدام الثقيلة تدق أعناق نبات السرخس ، وسمع وقع الأقدام وهى تتحرك بين العشب الطويل . . وولول ذلك الشخص المتوحش المجهول الهوية مرتين ، فتكررت الصيحة . فى كلا الاتجاهين ثم تلاشت . فقبع « رالف » ساكناً ومتشابكاً مع نباتات السرخس، ولم يسمع أية أصوات لبعض الوقت .

وأخيراً راح يفحص ذلك المكان من الغابة الذى يقبع فيه . . من المؤكد

أن أحداً لا يستطيع مهاجمته فى هذا المكان ، وعلاوة على ذلك فإن الحظ قد حالفه ، فالصخرة الهائلة التى قتلت « بيجى » قد وثبت إلى الغابة وقفزت هنالك فى منطقة الوسط تماماً ، وهشمت مساحة تمتد أقداماً قليلة من كل جهة . . وعندما شق « رالف » طريقه إلى هذه البقعة شعر بالأمن والأمان ، وأحس أنه على قدر من الذكاء ، فجلس فى حذر بين الجذوع المهشمة وانتظر مرور الصيادين . وعندما نظر لأعلى من خلال الأوراق لمح شيئاً أحمر اللون ، لا بد أن تلك هى قلعة الصخرة ، واطمأن لأنها بعيدة ولا تشكل تهديداً بالنسبة له ، وهدأ من روعه ، وأحس بمشاعر الانتصار ، وسمع أصوات الصيد وهى تتلاشى بعيداً .

غير أن أحداً لم يصدر أى صوت ، ومع مرور الدقائق تحت الظل الأخضر بدأت مشاعر الانتصار عنده تتلاشىء . . وأخيراً سمع صوتاً ، وكان ذلك الصوت هو صوت « جاك » ، ولكنه كان يتكلم فى همس .

– أأنت واثق تماماً مما تقول ؟

ولم يرد الشخص المتوحش الذى وجه له هذا التساؤل ، وربما رد بحركة من يده أو رأسه .

وتكلم « روجر » :

– إذا كنت تخدعنا . . .

وبعد هذه العبارة مباشرة ترامى صوت شهقة وصرخة ألم ، فانحنى «رالف » غريزياً ، وكان أحد « التوءمين » موجودًا هنالك خارج الغابة مع «جاك » و « روجر » .

وبعد هذه العبارة مباشرة ترامى صوت :

– أأنت متأكد أنه كان ينوى التخفى هنالك ؟

فرد « التوءم » فى أنين خافت ، ثم صدرت عنه صرخة ألم مرة أخرى .

– أكان ينوى التخفى هنالك ؟

– نعم . . نعم . . أوه !

وتناثرت الضحكات بين الأشجار .

إذن لقد أدركوا حقيقه الأمر .

فالتقط « رالف » عصاه واستعد للدخول فى معركة ، ولكن ماذا فى استطاعتهم أن يفعلوه ؟ فإنهم لكى يفتحوا ثغرة فى هذا المكان من الغابة سيضطرون للعمل لمدة أسبوع كامل . . وأى شخص يدفع بجسده متلوياً كالدودة ليشق طريقه فى الغابة سيصبح بلا حماية تماماً . وتحسس سن رمحه بإبهامه ، وابتسم لنفسه بدون أن يشعر بالتسلية ، فمن يحاول شق طريقه إلى الداخل سيضرب بالرمح بحيث يُطرح مثل الخنزير .

وأحس بهم ينصرفون بعيداً عائدين فى اتجاه صخرة البرج ، إذ كان باستطاعته سماع الأقدام وهى تتحرك ، ثم سمع شخصاً ما يضحك ضحكة مكتومة ، وبعدئذ ترامى إلى سمعه مرة أخرى تلك الصيحة العالية التى تشبه صيحة الطيور ، والتى اكتسحت الأجواء على طول الخط ، معنى هذا أن هناك بعض الأشخاص كانوا لا يزالون يرقبونه ، ولكن أكان بعضهم فقط . . ؟

وساد صمت طويل لاهث ، واكتشف « رالف » أن فمه مازال به قشرة لحاء ناجمة عن قضم الرمح ، ووقف وحملق لأعلى نحو صخرة القلعة .

وبينما كان يفعل ذلك إذ سمع صوت « جاك » متراميا من قمة الصخرة :

– ادفعوا للأمام . . ادفعوا للأمام . . ادفعوا للأمام .

فاختفت الصخرة الحمراء التي كان يشاهدها فوق قمة المنحدر الصخرى مثل الستارة ، واستطاع مشاهدة هياكل وسماء زرقاء ، وبعد لحظة واحدة اهتزت الأرض ، وكان هناك صوت اندفاع فى الهواء ، وصُفِعَتْ قمةُ الغابة كأنها ضُربت بيد عملاقة ، وقفزت الصخرة فى صوت خافتٍ وفى تحطيم تجاه « البلاج » ، فى حين تناثرت فوق « رالف » كميات هائلة من الأوراق والأغصان المتهشمة .

وكانت القبيلة تموج بالهناف والتصفيق خلف الغابة .

وساد الصمت مرة أخرى .

ووضع « رالف » أصابعه فى فمه وعضها ، ولم يتبق هنالك فوق القمة سوى صخرة واحدة ، وقد يفكرون فى تحريكها وإلقائها ، ولكن تلك الصخرة كانت هائلة ، وفى نصف حجم الكوخ ، أو فى حجم السيارة أو الدبابة . وتخيل تقدمها المحتمل بوضوح مثير للألم الشديد . . فقد تبدأ تلك الصخرة الهائلة بحركة بطيئة وتسقط من نتوء صخرى آخر ثم تتدحرج عبر العنق مثل أسطوانة بخارية متدحرجة هائلة الحجم .

– ادفعوا للأمام . ادفعوا للأمام . ادفعوا للأمام !

فوضع « رالف » رمحه على الأرض ثم التقطه مرة أخرى . ودفع بشعره إلى الخلف فى عصبية ، واتخذ خطوتين سريعتين عبر المكان الصغير ، ثم عاد ورجع مرة أخرى ، ووقف ينظر إلى الأطراف المكسورة للأغصان .

وكان الصوت مازال سائداً .

ولاحظ ارتفاع وانخفاض عضلة الحجاب الحاجز فى جسده ، وأصابته الدهشة عندما أدرك أنه كان يتنفس بسرعة كبيرة ، وكانت ضربات قلبه مرئية تماماً فى جهة اليسار من جسده ، فوضع الرمح على الأرض مرة أخرى .

– ادفعوا للأمام ، ادفعوا للأمام ، ادفعوا للأمام !

هتاف مطول مملوء بالصياح الحاد .

وترامى هدير من فوق الصخرة الحمراء ، وبعدئذ تقافزت الأرض وبدأت تهتز اهتزازات منتظمة ، وتزايد الصوت هو الآخر بشكل منتظم ، وطار «رالف » فى الهواء وأُلقى به على الأرض فى ارتطام مع الفروع والأغصان ، وسقط على يده اليمنى ، وعلى ساقه . . وعلى بُعد أقدام قليلة انحنت الأيكة كلها ، وشاهد شيئاً ما أحمر اللون انقلب فى بطء مثل عجلة الطاحونة ، ثم انقضى ذلك الشىء الأحمر ، وتناقص التقدم الضخم الذى يشبه الفيل فى اتجاه البحر .

وركع « رالف » فوق التربة المحروثة ، وانتظر حتى يهدأ التراب ويعود إلى حالته الطبيعية . وسرعان ما تركزت من جديد الجذوع المحطمة البيضاء ، والأغصان المشقوقة ، والفروع المتشابكة للأيكة ، وكان هناك نوع من الإحساس الثقيل فى جسده بالمكان الذى سبق أن شاهد فيه نبضات قلبه .

وخيم الصمت مرة أخرى .

إن الأمر لم يكن كذلك تماماً ، إذ كانوا يتهامسون هنالك ، وفجأة ارتعشت الأغصان فى غضب فى موقعين على يمينه ، وظهرت السن المدببة

لإحدى الرماح ، وفى هلع مشوب بالجنون دفع « رالف » برمحه فى الشرخ وضرب بكل قوته .

- آه !

والتوى رمحه قليلا فى يديه ثم سحبه مرة أخرى :

- أو هوه !

وكان هناك شخص ما يئن ويتوجع بالخارج .

وتصاعدت الأصوات فى جدال ، إذ كانت هناك مناقشة تدور فى وحشية ، على حين استمر المتوحش الجريح فى أنينه وزمجرته ، وبعدئذ هدأت الأصوات ، ثم تكلم صوت واحد ، وأدرك « رالف » أن ذلك الصوت ليس هو صوت « جاك » :

- هل رأيتم بأنفسكم ؟ لقد سبق أن قلت لكم إنه شخص خطير .

وتوجع المتوحش الجريح مرة أخرى .

ثم ماذا ؟ وما هو الشيء الذى سيحدث بعد ذلك ؟

وشدد « رالف » من قبضة يديه على رمحه وسقط شعره على وجهه . وكان شخص ما يتمتم على مسافة ياردات قليلة تجاه صخرة القلعة ، وسمع أحد المتوحشين يقول :

- لا .

بصوت مهزوز بالصدمة النفسية ، وبعدئذ ترامت ضحكات مكتومة ، فجلس القرفصاء مستنداً على كعبيه ، وكز على أسنانه عند حائط الأغصان ، ثم رفع رمحه لأعلى وراح يرقب الموقف وينتظر .

ومرة أخرى ضحكت المجموعة غير المرئية ضحكات مكتومة ، ثم سمع صوتاً عجيباً أعقبه صوت أكثر ارتفاعاً ، كما لو كان شخص ما يقوم بفرد ملاءات هائلة من « السيلوفان » . وتحركت عصا حركة سريعة فى طقطقة ، وكتم كحة اعتملت فى صدره ، وكان الدخان يتسلل بين الأغصان فى موجات وكتل بيضاء اللون وصفراء ، وتحركت رقعة السماء الزرقاء فوق رأسه إلى لون السحابة الرعدية ، وبعدئذ تجمهر الدخان حوله .

وضحك شخص ما فى إثارة ، وصاح صوت قائلا :

الدخان !

فتلوى كالدودة ودفع نفسه إلى أعماق الأيكة نحو الغابة ، مع عمله بقدر الإمكان على أن يكون تحت مستوى الدخان . وسرعان ما شاهد مساحة مكشوفة كما شاهد الأوراق الخضراء لحافة الأيكة ، وكان هناك ولد صغير متوحش يقف بينه وبين باقى الغابة ، وكان ذلك الولد مدهوناً باللونين الأبيض والأحمر ، وكان يحمل فى يده رمحاً ، وكان يتعرض لنوبة من الكحة ، ويلون المساحات القريبة من عينيه بالطلاء بظهر يده عندما حاول الرؤية خلال الدخان المتزايد . وأطلق « رالف » نفسه مثل القط ، وراح يطعن برمحه ، وتكوم الولد المتوحش على الأرض . وصدرت صيحة من وراء الأيكة ، وعندئذ انطلق « رالف » بسرعة جنونية بين الأعشاب وقد تملكه الرعب الشديد ، ووصل إلى ممر للخنازير ، وتتبع ذلك الممر لمسافة مائة ياردة تقريباً ، وبعدئذ انحرف مبتعداً من الممر ، وكانت الولولة تدوى خلفه عبر الجزيرة مرة أخرى ، وصاح صوت منفرد ثلاث مرات ، وخمن أن ذلك

الصوت هو بمثابة إشارة للتقدم ، فداوم على الهرب مبتعداً إلى أن أصبح صدره مثل النيران ، وبعدئذ ألقى بنفسه تحت شجيرة وانتظر للحظات لكى يعود تنفسه لحالته الطبيعية ، ومر بلسانه على أسنانه وشفتيه ، ثم سمع ولولة الأولاد الذين يقتفون أثره تترامى من بعيد .

وكانت هناك أشياء كثيرة يمكنه أن يفعلها ، إنه كان باستطاعته تسلق شجرة ، ولكن هذا الحل بمثابة جمع البيض فى سلة واحدة ، فلو اكتشفوا وجوده فوق الشجرة فستكون مهمتهم سهلة للغاية ، حيث سيبقون فى انتظاره أسفل الشجرة .

لو كان لديه فقط بعض الوقت لَتَخَيَّرَ الحل السليم ، وصدرت صيحة مزدوجة أخرى على نفس المسافة ، فأعانته على فهم خطتهم ، فأى شخص متوحش يتعرض للإعاقة فى الغابة سيصيح صيحة مزدوجة ويوقف الخط إلى أن يتحرر مرة أخرى ، وهم يهدفون بهذه الوسيلة إلى استمرار فرض الحصار عبر الجزيرة . وتذكر « رالف » ذلك الخنزير الذكر الذى اخترق خطوطهم بسهولة كبيرة . . وإذا ضيقوا الخناق عليه أكثر من اللازم فإنه قد يهجم على الحصار المفروض عليه عندما يكون الحصار ضعيفاً ، وفى مراحلة الأولى فيقوم بعملية اختراق سريعة ويجرى إلى الوراء . . ولكن إلى أين ؟ فقد يدور الحصار المفروض عليه ويكتسح مرة أخرى ، وهو – إن عاجلا أو آجلاً – سيضطر للركون إلى النوم أو تناول الطعام ، وبعدئذ قد يستيقظ مع اندفاع الأيدى نحوه لتنشب أظافرها فى لحمه ، وعندئذ تتوقف المطاردة .

فماذا ينبغى له أن يفعل عندئذ ؟ أيلجأ إلى الصعود إلى الشجرة ؟ أيخترق صفوفهم مثل الخنزير البرى ؟ وكان اختيار أحد هذين الأمرين محفوفًا بالمخاطر المريعة .

صدرت صيحة منفردة ، فتزايدت ضربات قلبه ، وقفز لأعلى ، وانطلق بسرعة جنونية نحو المحيط والأدغال الكثيفة إلى أن وجد نفسه متشابكاً مع النباتات المتسلقة ، فبقى هنالك للحظات يرتعد من الخوف ، وتمنى أن تكون لديه فترة طويلة من الهدوء تعينه على التفكير فى الخروج من المأزق .

ومرة أخرى سمع تلك الولولة عبر الجزيرة ، وكانت ولولة حادة وثاقبة ، وصاخبة وحتمية ، وما إن سمع تلك الولولة حتى جفل كالحصان بين النباتات المتسلقة ، وأخذ يجرى مرة أخرى إلى أن أصبح لاهثاً ومتقطع الأنفاس ، فألقى بنفسه بجوار بعض نباتات السرخس . الشجرة أم الهجوم؟ وسيطر على أنفاسه للحظات ، ومسح فمه ، وأمر نفسه بالالتزام بالهدوء ، وكان « سام » و « إريك » فى مكان ما على ذلك الخط ، وكانا يكرهان اشتراكهما فى هذه المهمة . أو ربما كانا يكرهان ذلك . ولنفرض أنه بدلا من أن يتقابل معهما تقابل مع الرئيس أو مع « روجر » الذى يحمل الموت دائماً بين يديه .

ودفع « رالف » بشعره المتشابك إلى الخلف ومسح العرق عن عينيه ، ثم تكلم بصوت مرتفع :

- فكر فى الأمر .

وما هو الشىء المعقول الذى يمكنه أن يفعله ؟

لم يكن هناك « بيجى » لكى يتحدث معه ويبدى آراءً سديدة ، ولم يكن هناك اجتماع وقور لمناقشة الأمور ، ولم يكن هناك وقار المحارة .

- فكر فى الأمر .

وكل ما كان يخشاه هو أن يتبلد ذهنه وينطفىء عنده الإحساس بالمخاطر، ويصير إنساناً ساذجاً مغفلاً .

وكانت الخطة الثالثة هى أن يخفى نفسه تماماً بحيث يمر بجواره الخط المتقدم بدون أن يكتشف وجوده .

وارتفع برأسه عن الأرض ، وراح يصغى ، وكان هناك صوت آخر يمكنه الإصغاء إليه فى تلك الآونة . . صوت دمدمة عنيفة كما لو كانت الغابة نفسها غاضبة منه . . صوت حزين تتخربش عبره الولولات بشكل مثير للآلام ، كأنها فوق لوح من الاردواز . وأدرك أنه سبق له أن سمع ذلك الصوت من قبل فى مكان ما ، غير أنه لم يكن لديه الوقت الذى يعينه على التذكر .

أيكسر الخط ؟!

أم يصعد على الشجرة ؟

أم يختبىء ويدعهم يمرون بالقرب منه ؟

وترامت إلى سمعه صرخة من مكان قريب فوقف على قدميه ، ووجد نفسه ينطلق مهرولا على الفور بين الأشواك ونباتات العليق ، وفجأة وصل إلى أرض مكشوفة ، ووجد نفسه مرة أخرى متخبطا فى ذلك المكان المكشوف . وكانت هناك ابتسامة الجمجمة التى يبلغ اتساعها ست أقدام ، ولم تعد الابتسامة تسخر من مساحة شديدة الزرقة فى السماء ، وإنما كانت تنظر فى سخرية إلى طبقة رقيقة من الدخان . وبعدئذ كان « رالف » يجرى تحت الأشجار وقد فهم السبب فى ظهور تلك الدمدمة بالغابة ، لقد حاولوا

طرده من الغابة عن طريق إطلاق الدخان في أرجائها ، فأشعلوا النيران فى الجزيرة .

وكان الاختباء أفضل من الصعود إلى شجرة ، لأن الاختباء يعطى المرء الفرصة لكسر خط الحصار فى حالة اكتشاف مكانه .

إذن عليك بالتخفى والاختباء .

وساءل نفسه فى دهشة :

– ترى هل يوافق خنزير على هذا الإجراء ؟ ونظر مكتئباً إلى لا شيء :

– أبحثُ عن أعمق مكان بالغابة . . عن أكثر الجحور إظلاماً فى الجزيرة وأزحف إلى داخله . .

ثم انطلق مهرولاً وراح يحملق بنظراته هنا وهناك أثناء الجرى ، وتخطى العوائق ، وبقع ضوء النهار ترفرف فوقه ، وكان العرق يتصبب فى شكل خطوط متلألئة فوق جسده القذر ، وأصبحت الصيحات بعيدة وخافتة فى تلك اللحظات .

وأخيراً عثر على المكان الملائم من وجهة نظره ، برغم أن القرار كان يتسم بالتهور الناجم عن اليأس ، فهنا كانت الشجيرات والنباتات المتسلقة متشابكة تماماً على شكل حصيرة ، بحيث كانت تحجب ضوء الشمس ، وتحتها كان يوجد فراغ يبلغ ارتفاعه حوالى قدم ، برغم أنه كان مملوءاً بالجذوع الصاعدة المتوازية التى تخترق التربة ، فإذا دفعت بجسدك متلوياً إلى منتصف ذلك الفراغ فإنك ستصبح على مسافة خمس ياردات من الحافة ، وستصبح متخفياً تماماً ، اللهم إلا إذا قرر الشخص المتوحش الاستلقاء على

الأرض والبحث عنك ، وحتى إذا فعل ذلك فإنك ستكون مغلفاً بهالة من الظلام . . وإذا حدث أسوأ الافتراضات بحيث تمكن منْ مشاهدتك بالفعل ، فإنك تكون لديك الفرصة فى الخروج إليه فجأة وإشاعة الارتباك فى الخط بأكمله ، ويراوغ عائداً إلى داخل الغابة .

وفى حذر شديد تلوى « رالف » بين الجذوع الصاعدة فى حين كانت عصاه تتدلى وراءه ، وعندما وصل إلى وسط الحصيرة استلقى وراح يرهف السمع .

وكانت النيران هائلة وضخمة ، وكان التدفق الإيقاعى للكلام - والذى ظن أنه خَلَّفَهُ وراءه لمسافة بعيدة - يترامى إليه من مسافة قريبة ، ألا تستطيع النيران أن تتفوق فى سرعتها على سرعة حصان منطلق بسرعة ؟ وكان باستطاعته مشاهدة الأرض المبرقشة بضوء الشمس فوق مساحة تبعد حوالى خمسين ياردة عن المكان الذى استلقى فيه ، وأثناء مراقبته كان ضوء الشمس فى كل رقعة من الأرض يومض ويختلج نحوه ، وكان هذا يشبه كثيراً الستارة التى كانت ترفرف فى داخل ذهنه ، حتى إنه ظن للحظات أن الرفرفة ترامت من داخله ، غير أن رقع الضوء زادت من رفرفتها بسرعة كبيرة فى تلك الآونة ، ثم تلبدت وانطفأت ، حتى إنه شاهد كثافة هائلة من الدخان تسبح فيما بين الجزيرة والشمس .

لو أن شخصا حملق تحت الشجيرات وتصادف أن لمح لحوماً بشرية فقد يكون ذلك الشخص هو « سام » أو « إريك » وعندئذ سيدعيان أنهما لم يشاهدا شيئاً ، ويلتزمان بالصمت . ووضع خده على الأرض التى تكتسى بلون « الشيكولاته » ولعق شفتيه الجافتين وأغلق عينيه . وتحت الأيكة كانت

الأرض تهتز اهتزازات ضئيلة للغاية ، أو ربما كانت هناك أصوات مستترة تحت الرعد الواضح للنيران والولولات المخربشة التى كانت منخفضة للغاية ، بحيث يتعذر سماعها .

وصاح شخص ما بصوت مرتفع ، فرفع « رالف » خده عن الأرض وحملق فى الضوء المعتم فى تبلد ، وراح يفكر : لابد أنهم قريبون منه للغاية وبدأ صدره يخفق بأصوات مكتومة ، اختبىء . . اكسر الخط . . تسلق الشجرة - ترى ما هو التصرف الأفضل ؟

وكانت المشكلة هى أنه لم يكن أمامه سوى فرصة واحدة .

وازداد اقتراب النيران منه ، فتلك القذائف المنطلقة فى آن واحد كانت بمثابة تفجر الأغصان ، بل تفجر الجذوع . . الأغبياء ! المغفلون ! إن النيران تكاد تدخل إلى أشجار الفاكهة . . فماذا سيأكلون غداً ؟

وتحرك « رالف » فى قلق فى سريره الضيق . . الإنسان يخاطر ويجازف من أجل شىء لا يستحق كل ذلك ! ماذا سيفعلون به ؟ هل سيضربونه ؟ هل سيقتلونه أم ماذا ؟ عصا مدببة من كلا الطرفين .

وظهرت الصيحات فجأة من مكان قريب منه ، فسرت الرعشة فى كيانه وهب واقفاً وتمكن من مشاهدة شخص متوحش مدهون بالطلاء يتحرك بسرعة خارجاً من كتلة متشابكة خضراء ومتوجهاً نحو الحصيرة التى يختبىء بين طياتها ، وكان ذلك الشخص المتوحش يحمل فى يده رمحاً ، وأمسكت أصابع « رالف » بالتراب . . كن على استعداد الآن لكى تواجهه فى حالة مشاهدته لك .

وتحسس « رالف » لكى يمسك برمحه الذى يُعد سلاحه الرئيسى ، وأدرك عندئذ أن رمحه مدبب من الناحيتين .

ووقف الشخص المتوحش على مشافة خمس عشرة ياردة ، وأطلق صيحته .

ربما استطاع سماع دقات قلبى التى تعلو على أصوات النيران . . لا تلجأ للصراخ . . استعد .

وتحرك الشخص المتوحش للأمام بحيث لا يستطيع المرء مشاهدته ابتداء من وسطه فنازلاً ، وذلك كان هو مقبض رمحه ، وأصبح من الممكن مشاهدته ابتداء من الركبة فنازلا . . لا تلجأ للصراخ .

وخرج قطيع من الخنازير فى صراخ من بين النباتات الخضراء الواقعة خلف الولد المتوحش ، واندفعت بسرعة إلى داخل الغابة . وشاركت الطيور فى الصراخ ، وانخرطت الفئران فى الصراخ ، ودخل شىء صغير يتقافز ويحجل تحت الحصيرة وجثم مرتعداً ومنكمشاً .

وتوقف الولد المتوحش على مسافة خمس ياردات ، حيث كان واقفاً بجوار الأيكة تماماً ، وأطلق صيحة ، فسحب « رالف » قدميه لأعلى وانحنى، وكانت العصا ما زالت فى يديه ، وهى العصا المدببة من كلا الطرفين ، وهى الخازوق الذى تذبذب فى عنف شديد ، والذى أصبح طويلاً وقصيراً وخفيفاً ، ثم خفيفاً مرة أخرى .

وانتشرت الولولة من شاطىء لآخر ، وركع الولد المتوحش عند حافة الأيكة، وكانت هناك أضواء ترفرف فى الغابة خلفه ، وكان باستطاعة المرء

مشاهدة ركبة تثير التراب ، ثم مشاهدة الركبة الأخرى ، ثم اليدين ، ثم مشاهدة رمح . . ووجه .

وحملق الولد المتوشح فى المكان المظلم القاتم تحت الأيكة .". ويمكن القول إنه شاهد ضوءًا على هذا الجانب أو ذاك ، ولكنه لم يشاهد أى شىء فى الوسط هناك ، ففى المنتصف كانت توجد بقعة من السواد ، فقطب الولد المتوحش وجهه لدى محاولة التوغل ببصره فى الظلام .

وطالت الثوانى واللحظات ، وكان « رالف » ينظر فى خط مستقيم فى عينى الولد المتوحش .

- لا تلجأ للصراخ .

- سوف تتوغل إلى الخلف .

لقد شاهدك الآن ، وهو يحاول التأكد من ذلك . . عصاً مبرية .

وصرخ « رالف » صرخة ممزوجة بالخوف والغضب واليأس والإحباط . واعتدلت ساقاه ، وأصبحت الصرخات مستمرة ومملوءة بالرغاوى والزبد ، وانطلقت بسرعة للأمام وتفجرت الأيكة ووقف فى المكان المكشوف صارخاً وغاضباً وملطخاً بالدماء ، ولوح بالعصا ، وتشلقب الولد المتوحش على الأرض ، ولكن كان هناك آخرون متوحشون يهرولون فى اتجاهه وهم يتصايحون ، فانحرف واندفع كالرمح ، ثم أطلق ساقيه للريح فى صمت . وعلى الفور اندمجت الأضواء التى رفرفت أمامه وارتفع زئير الغابة بحيث أصبح مثل الرعد ، وانفجرت شجيرة طويلة تقع على الممر الذى يجرى عليه ، وتحولت إلى كتلة هائلة من اللهيب على شكل مروحة ، فانحرف إلى اليمين وجرى فى استماتة وبسرعة خارقة ، وكانت حرارة الجو تضرب على

جانبه الأيسر كما كانت النيران تتسابق للأمام مثل تيار المياه الجارية .

وتصاعدت الولولات وراءه وانتشرت ، وكانت على شكل سلاسل متتابعة من الصيحات الحادة القصيرة التى تعبر عن نداء المشاهدة . وظهر هيكل بنى اللون على يمينه ، وارتد مرة أخرى ، وكانوا جميعاً مندمجين فى الجرى ومنهمكين فى الصراخ فى جنون . وكان باستطاعته سماعهم وهم يشقون طريقهم فى صخب جنونى بين الأشجار الكبيرة بالغابة ، وعلى اليسار كان هناك الرعد والبرق الساخن للنيران . ونسى جراحه وعطشه وجوعه ، وأصبح كتلة من الخوف ، خوف يائس فوق أقدام طائرة بسرعة هائلة ، ومندفعة بين طيات الغابة نحو «البلاج » المكشوف . وقفزت بقع أمام عينيه وتحولت إلى دوائر حمراء أخذت فى التوسع والانتشار بسرعة إلى أن أصبحت غير مرئية . وتحته كانت ساقا شخصٍ ما تبدأان فى الإحساس بالتعب ، وتقدمت الولولات المميتة مثل حافة تهديد مشقوقة ، وكادت تصل إلى أعلى رأسه .

وتعثر فوق أحد الجذور ، وارتفعت الصيحة التى تقتص أثره أكثر وأكثر. وشاهد كوخاً يتفجر ورفرفت النيران عند كتفه اليمنى ، وكانت هناك تألقات المياه . وبعدئذ سقط على الأرض متدحرجاً بين الرمال الساخنة ، ومنحنياً فى إذلال ، ورافعاً يده لأعلى ؛ لكى يتفادى الضربات ، ومحاولاً الصراخ طالباً الرحمة .

وترنح فوق قدميه ، وشعر بالتوتر الشديد ، وتوقع حدوث مزيد من الأهوال . وكانت تلك القبعة لها حز علوى أبيض اللون ، وفوق الظل

الأخضر للحافة الناتئة كان يوجد تاجٍ ومرساة وزخارف ذهبية اللون . . وشاهد سترة بحرية بيضاء اللون بها نسيج مقصب فوق الكتف ، كما شاهد مسدساً وصفاً من الأزرة المطلية بالذهب أسفل صدر الزى الرسمى .

لقد كان هناك ضابط بحرى يقف على الرمال وينظر لأسفل نحو «رالف» فى دهشة ممزوجة باليقظة والحذر ، وخلفه على « البلاج » كان يوجد زورق بخارى حكومى مسلح ، وكانت المجاديف الأمامية الخاصة بهذا الزورق مسحوبة لأعلى بمعرفة اثنين من جنود الأسطول . وعند مؤخرة الزورق كان يوجد جندى بحرى آخر ممسك بمدفع رشاش .

وتداعت الولولات ، ثم تلاشت تماماً .

ونظر الضابط إلى « رالف » نظرات مملوءة بالشك والريبة للحظات قليلة، ثم رفع يده عن مقبض مسدسه :

– مرحباً !

فرد « رالف » فى شىء من الخجل والارتباك ، حيث كان يدرك أن مظهره قذر ومشوب بالقاذورات .

– مرحباً .

فأومأ الضابط برأسه كما لو كانت الإجابة على تساؤله قد تمت .

– أيوجد هناك أى أشخاص يافعين – أى أشخاص كبار راشدين معك؟

فهز « رالف » رأسه فى شىء من البكم والصمت كأنه أخرس ، ثم استدار قليلاً فوق الرمال ، فشاهد نصف دائرة من الأولاد الصغار

بأجسامهم المخططة بالصلصال الملون ، وبعصيهم المدببة فى أيديهم ، وكانوا يقفون على « البلاج » بدون أن تصدر عنهم أية ضوضاء على الإطلاق .

فقال الضابط :

- اللهو والمرح واللعب .

ووصلت النيران إلى أشجار جوز الهند القريبة من « البلاج » وابتلعتها فى أصوات صاخبة . ويبدو أن ألسنة النيران انفصلت وتأرجحت مثل «الأكروبات » ولعقت قمم أشجار جوز الهند الموجودة فوق الرصيف ، وعندئذ تحولت السماء إلى اللون الأسود .

وابتسم الضابط لـ « رالف » فى بهجة :

- لقد شاهدنا الدخان الذى أطلقتموه . وماذا كنتم تفعلون ؟ أكنتم تشتبكون فى قتال أو أى شىء من هذا القبيل ؟

فأومأ « رالف » برأسه .

وفحص الضابط الهزيل الرث الثياب الماثل أمامه ، وأدرك أن الولد فى مسيس الحاجة لأخذِ حمام وقص شعره ، وتنظيف أنفه ، بالإضافة إلى كمية كبيرة من المراهم .

- آمل ألا يكون قد قتل أحد ؟ هل توجد أية جثث ؟

- لم يقتل سوى اثنين فقط ، وقد اختفت جثتاهما . .

فانحنى الضابط لأسفل وحملق فى وجه « رالف » :

- قتل اثنان ؟ قتلا ؟

فأومأ « رالف » برأسه مرة أخرى . ووراءه كانت الجزيرة بأكملها ترتعد وترتجف بألسنة اللهيب . وكان الضابط يدرك عادة متى يقول الناس الصدق، فأطلق صفارة خافتة فى شيء من الدهشة .

وبدأ أولاد آخرون يظهرون ، وكان بعضهم من الأطفال الصغار ، وكانت بشرتهم بنية اللون ، وكانت بطونهم منتفخة مثل بطون الأولاد المتوحشين الصغار ، واقترب واحد منهم من الضابط ونظر نحوه لأعلى .

– أنا . . أنا . .

ولكن لم تصدر عنه أية كلمات أخرى . وراح « برسيفال ويمز ماديسون » يبحث فى رأسه عن تعويذة كانت قد انزلقت إلى طى النسيان .

واستدار الضابط ونظر إلى « رالف » :

– سوف ننقلكم معنا ، كم عدد الموجودين منكم الآن ؟

فهز « رالف » رأسه ، ورفع الضابط نظره عن « رالف » وراح ينظر إلى مجموعة الأولاد المدهونين بالطلاء .

– من هو الرئيس هنا ؟

فقال « رالف » بصوت مرتفع :

– أنا .

وتقدم للأمام ولد صغير يرتدى بقايا قبعة سوداء غير عادية على شعره الأحمر ، ويحمل فى يديه بقايا نظارة عند وسطه ، إلا أنه غير رأيه ووقف ساكناً .

– لقد شاهدنا الدخان الذى أطلقتموه ، ولكن ألا تعرفون عدد الأولاد فى هذا المكان ؟

– لا يا سيدى .

وقال الضابط وهو يقيم ويتفحص الأولاد الموجودين أمامه :

– لقد اعتقدت . . لقد اعتقدتُ أن أى مجموعة من الأولاد البريطانيين – وأنتم جميعاً من البريطانيين . . أليس كذلك ؟ – كان بإمكانهم أن يظهروا بشكل أفضل من هذا – أقصد . .

فقال « رالف » :

– لقد كنت على ذلك النحو فى بادىء الأمر . وذلك قبل أن . . وتوقف عن الكلام :

– لقد كنا فى بادىء الأمر معاً مؤتلفين .

فأومأ الضابط برأسه معززاً كلام « رالف » :

– أدرك ذلك . . لقد قدمتم عرضاً رائعا بهيجاً مثل جزيرة الشعاب المرجانية .

فنظر إليه « رالف » فى شىء من السكون ، وفى لحظة واحدة انطلقت صورة بسرعة خاطفة عن السحر العريب الذى اكتنف الأغصان فى يوم ما ، ولكن الجزيرة أصبحت محترقة مثل غابة مسة – ومات سيمون – كما أن «حاك» . . .

وبدأت الدموع تنساب من عنيه ، يبدأ نشيج البكاء يهز كيانه ، وسلم نفسه آنئذ لهم لأول مرة فوق الحزيرة ، تشنجات هائلة لا إرادية مروعة من

الحزن بدت وكأنها تمزق جسده بأكمله . وارتفع صوته تحت الدخان الأسود، وأمام الحطام المحترق للجزيرة ، وسرت عدوى ذلك الانفعال العاطفى بين الأولاد الصغار الآخرين ، فانخرطوا فى البكاء والنشيج . وكان « رالف » يقف فى وسط الأولاد بجسده المتسخ ، وبشعره المتلبد ، وبأنفه المملوء بالمخاط- ، وكان يبكى بسبب انتهاء البراءة ، وبسبب ظلام قلب الإنسان ، وبسبب سقوط الصديق المخلص المثالى الحكيم الذى يسمى «بيجى » عبر طيات الهواء .

وتأثر الضابط الذى أحاطته هذه الأصوات ، وشعر بشىء من الارتباك ، فاستدار مبتعداً لكى يعطيهم الوقت الكافى لكى يستردوا رباطة جأشهم ويستجمعوا قواهم . وظل منتظراً وقد تثبتت عيناه على السفينة الحربية الجميلة المزودة بكافة التجهيزات الواقفة على مسافة بعيدة .

* تمت الروايه *

كلمة إلى القارئ

الذين فازوا "بجائزة نوبل" في الآداب. هل فازوا بها
عن جدارة؟ وهل فازوا بها لأسباب موضوعية؟

هذه السلسلة "روايات جائزة نوبل"..
تصدر للإجابة عن هذه التساؤلات فهي لا تكتفي بترجمة
أفضل روايات هؤلاء الكتاب وأشهرها، ترجمة كاملة
وأمينة بلغة عربية رصينة وأسلوب بلاغي عصري، ولكنها
تضمن الترجمة مقدمة تاريخية وافية عن الكاتب، وتحليلية
دقيقة عن فكره وأدبه ولغته وأسلوبه ورواياته، حتى
يجد القارئ والدارس والأديب الناشئ، ما يسعده ويفيده
ويلبي حاجته الثقافية..

من هنا المنطلق لابد من إعادة الفضل إلى أصحابه والاعتراف
باستجابة ناشرنا المثقف "محمد رشاد" لهذا المشروع الطموح ثقافياً
رغم مغامراته المادية في عالم النشر. والله الموفق دائماً

فتحي العشري



الفنيـــون

الإشراف الفنى : **محمد طنطاوى**

التصفيف : **نجلاء فتحى**

التصحيح : **عبد الحكيم بيومى**

مونتاج : **جودة عبد الصادق**

عربية للطباعة والنشر

٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون ٣٠٣١٠٤٣٠ ـ ٣٠٣٦٠٩٨






محمد حجي